Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خواطر الإنسان

بين منظاري

علم النفس والقرآن

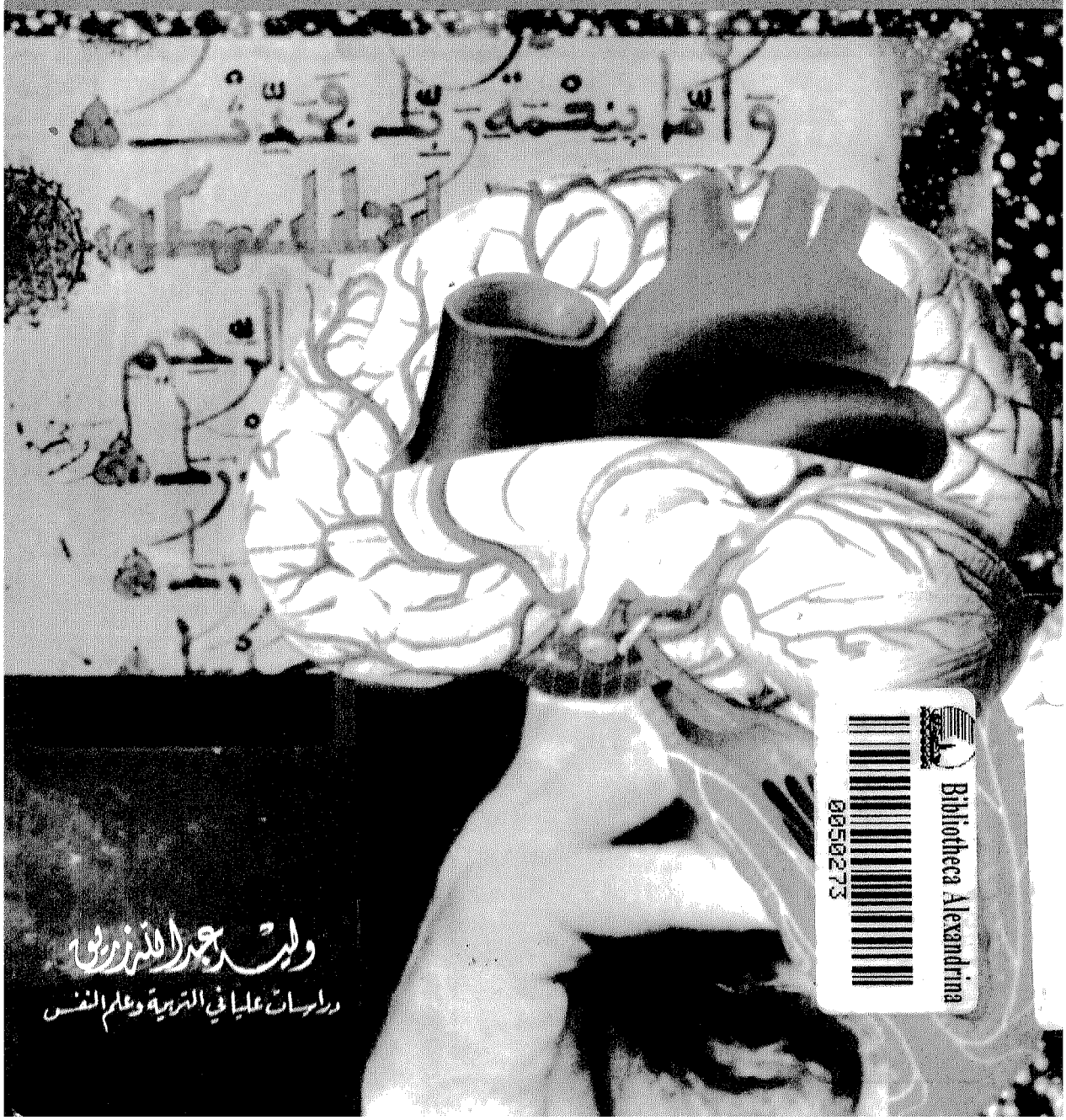

وليد عبد الله زريوه

دراسات عليا في التربية وعلم النفس

Bibliotheca Alexandrina
0050273

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وليد عبدالله زريق

دراسات عليا في التربية وعلم النفس

خواطر الإنسان

بين منظاري

علم النفس والقرآن

مطبعة الداودي - دمشق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

موافقة وزارة الإعلام

٢٨٣١٦ تاريخ ١٩٩٦/١٠/٩

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق – القاهرة – حلب

هاتف : ٢٤١٤٣٤ – حلب

حقوق الطباعة والنشر محفوظة

للمؤلف ولدار النشر مناصفة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإهـــداء

- إلى من يمضي الفترات الطوال من يومه وليلته تحت وطأة تساؤلات مدهشة لاهثة وراء أجوبة مطمئنة وشافية .

- إلى كل من يعاني من خواطر وضعته على حافة الشك والاضطراب .

- إلى كل من يبحث عن طمأنينة القلب وارتياح النفس .

- إلى كل من يعيش مستنيراً بمبادىء العقل ومهتدياً بنوره .

- إلى فضيلة الشيخ حكمت وإلى كل من الأخوة والزملاء الأساتذة والأحباء يوسف وبرهان وعدنان الذين شاركونا بعض العناء في إيصال هذا الكتاب لما هو عليه .

- إلى الزوجة والأولاد كل من أنس وأسامة وقتيبة وعبد الله الذين وفروا لي من جهدهم وتسامحهم ما مكنني من كتابة هذا الكتاب .

- إلى كل هؤلاء أهدي هذا الكتاب وأملي أن يجدوا فيه ما يصل بهم لنفس مطمئنة راضية مرضية تقع موضع الخطاب الإلهي الذي صورته الآية القرآنية ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

آيات من الذكر الحكيم تناسب مواضيع الكتاب

- ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد .

سورة ق - الآية ١٦

- وما أبرىء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء .

سورة يوسف - الآية ٥٣

- وفي أنفسكم أفلا تبصرون .

سورة الذاريات - الآية ٢١

- ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون .

سورة الحشر - الآية ١٩

- لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة .

سورة القيامة - الآية ١-٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فكرة الكتاب

مشروع هذا الكتاب مشروع قديم خامر عقلي وعاش فيه منذ بدأت الحياة الجامعية الأولى إذ وقعت عيناي على قراءة الحديثين التاليين عن رسول الله محمد /ص/ :

آ – قال رسول الله (ص) : لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه **وعن علمه ماذا عمل فيه** .

ب – قال رسول الله (ص) : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية **أو علم يُنتفع** أو ولد صالح يدعو له .

فأسأل الله الذي يقول « إنني معكما أسمع وأرى[1] » أن يستجيب لندائي ويحقق غرضي وحاش لله أن يقفل باب الإستجابة بعد أن فتح باب الدعاء ، وكان مما دفعني إليه المبررات التالية :

– **تخبط الكثير من الناس في إيجاد تأويلات لبعض خواطرهم ، وتفسيرات تقترب من الصواب** حيناً وتبتعد عنه أحياناً .

– كثرة الخواطر التي كانت تراود نفسي بين الحين والآخر وتساؤلات عن تفسيرها في علم النفس وعن تفسيرها في القرآن .

– **ثقتي بخلو المكتبة العربية من كتاب كهذا يوفق** بين علم النفس والقرآن وإيماني بضرورة وجوده فيها .

---

[1] سورة طه – الآية (٢) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد استطاع الأستاذ الشاعر يوسف الحسين أن يعبر عن فكرة الكتاب هـذه بأبيات قال فيها :

تحـيّرَ النـاس بـين الظـن والحـدس تفرقـوا شـعباً في عـالم النفـس
لمـا رأيتهـم شـتى في مذاهبهـم شديت رحلي وجشّمت السرى[1] عنسي[2]
رويـت بـالقرآن نقـع صبـابتي أثلجت صـدري وأهديـت الرضـا نفسـي

هذه هي المبررات فلماذا كان له هذا العنوان ؟

في الجـواب أقـول أردت أن أدرس موضـوع الخواطـر متبعـاً منهـج البحـث المقارن فاخترت قطبين لهذا البحث تراوحا بين أشرف وأقدس رسالة سماوية عرفتهـا البشرية وبين أنبل علم[3] كان بمنزلة خير هدية قدمت للإنسانية في القرن العشرين ، بين **القرآن الكريم وعلم النفس** .

كانت الفكرة من وراء وضع هذه الخواطر في مـيزان القـرآن إيمـاني بـأن مـا جـاء بـه القـرآن كـان شـاملاً لكـل شـيء في الحيـاة وكيـف لا وا لله هـو القـائل : ﴿ **ولا يأتونك بمثل** إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً[4] ﴾ .

لم أكن أغفل **العناء** والنصب الذي سينتظرني عند البحـث في هـذه الخواطـر بل وضعت ذلك نصب عيني **فأعملت عقلي فيه وأشغلت نفسي ووقتي في كتابتـه وكان توفيق الله يحالفني في بعض المواقف لدرجـة الإبـداع أو يقصـر بـي لدرجـة إعادة صوغ القديم بقالب جديد مع التصرف** .

---

[1] السرى : المشي المضني في الليل .

[2] عنسي : الناقة .

[3] يقول الغزالي : يؤخذ شرف المهنة من موضوعها .

[4] سورة الفرقان – الآية (٣٣) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جاء الكتاب ليكشف مـا كـان مستوراً وليدخـل بجـرأة إلى **مـا كـان مهابـاً وممنوعاً ومجهولاً وأملي أن** يجد فيه القـاريء مـا يقنعـه في كـل مـا يخطـر ببالـه مـن تساؤلات **والله من وراء القصد .**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تقديم

الإنسان مخلوق عجيب . يحلّق إلى أن يبلغ أسمى درجات الروحانية فيتصل با لله ويجتني منه ما لا يصح للملائكة ، أو ينحدر فينزل إلى أدنى درجات البهائم ، عجيب بدماغه ومخه الذي هو لحم ودم ، بل مادة سنجابية ومادة بيضاء ، والأغرب من ذلك أنه كتلة دهنية ومع ذلك **ترسل وتستقبل مخترقة الحجب ومحطمة الجدران** .

عجيب أمره ، عميق سرّه ، محكم بابه ، مجهول لغزه ، بلسان ينطق حين لاينطق في غيره اللسان [1] غاص في البحار واكتشف أسرارها وعرج إلى السماء وسخر قوانين حركة أفلاكها فاستغلها لصالحه ، استفاد من طاقة البخار الناتج من غليان الماء في نقل البضائع والمسافرين ، فتتت الذرة ، فجر الأرض دمَّر وامتلك زمام الكون مع ذلك بقي **ضعيفاً عاجزاً أمام كنه نفسيته وماهيتها ولم يحط بأسرارها** ونسي أن العالم الأكبر / الذي ما يزال يتحداه / قد انطوى فيها من هنا قال أحدهم :

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

ففي الإنسان انطوى العالم الكبير بعظمته وجبروته ومتانة حصونه وحدة أسلحته وسيبقى كذلك إلى يوم الفصل ، يوم يقوم الناس لرب العالمين وكيف لا والنفس سرّ من أسرار ا لله في الإنسان حاول الكثيرون قبلنا أن يسبروا غوره

---

[1] كالأنعام من أغنام وأبقار وإبل وغير ذلك لها لسان ولكن لا تنطق والأغرب من ذلك أن ألسنتها تقوم بكل وظائف اللسان لدى الإنسان وينقصها النطق فقط .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويدخلوا إلى أعماقه **فلم تدخلهم محاولاتهم إلا الباب فقط وبقوا عاجزين عن معرفة ما وراء هذا الباب** من هذه المحاولات (كتاب الإنسان ذلك المجهول) تأليف ألكسيس كاريل .

(وكتاب أسرار الخلقة وابداعها) تأليف الدكتور إحسان حقي وما كتابنا الحالي (خواطر الإنسان بين علم النفس والقرآن) **إلا محاولة لإزالة اللبس الذي يكتنف ماهية العلاقة بين مادية الإنسان وروحانيته** ، تلك النقطة التي ما زال الإنسان يرنو نحوها معجباً بما يجري ، مستمتعاً بما يرى ولكن دون جدوى وكأن لجاماً قد كبح جماح اندفاعه وأملنا با لله كبير أن يجد الإنسان في هذا الكتاب ما يحقق له ذلك ويروي ظمأه من المعرفة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الأول

النفس

١ – مقدمة

٢ – ماهية النفس ما هي ؟

٣ – أقسام النفس الإنسانية :

آ – أقسام النفس برأي أفلاطون .

ب – أقسام النفس برأي الفارابي / المعلم الثاني / .

ج – أقسام النفس في القرآن .

٤ – آفاق النفس إلى أين تمتد ؟

٥ – وظائف النفس ما هي ؟

٦ – تصوير النفس الإنسانية في القرآن الكريم كيف ؟

٧ – الله كما يتراءى من خلال النفس .

٨ – النفس عند النوم إلى أين ؟

٩ – النفس بعد الموت إلى أين ؟

١٠ – علاقة النفس بالجسد كيف ؟

١١ – النفس ذلك اللغز كيف نتعامل معه ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الأول

النفس

مقدمة :

لقد استحوذ التفكير في موضوع النفس ذاك المخلوق المهيب على فلاسفة الرومان واليونان والمسلمين **فأفلاطون** وقف معظم أبحاثه على النفس ورآها تدخل الجسد لتتعرف على العالم المحسوس وتسعى وراء التطهير **وأرسطو** كتب الكثير عنها وعن علاقتها بالجسد **وسقراط** وقف تفكيره كله لمعرفة النفس وعبر عن ذلك بشكل صريح عندما قال : « **إعرف نفسك** » كلمتان اثنتان بهما بدأ فلسفته وبهما أنهى حياته والرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم رأى في معرفة النفس سبيلاً لمعرفة الرب فقال : « **من عرف نفسه فقد عرف ربه** » وفي العصر الحديث رأى علماء النفس أن غاية الإنسان من حياته هي معرفة النفس حتى إن فرويد يقول : « عالم النفس الضائع يغري غيره بالضياع » فما هي النفس ؟ ما أقسامها ؟ أهي واحدة وانقسمت ؟ ما آفاقها وما هي وظائفها ؟ .. عند النوم أين تكون ؟ .. بعد الموت إلى أين ؟ .. ما علاقة النفس بالجسد أخيراً ؟ النفس ذاك اللغز الكبير كيف نتعامل معه ؟

أسئلة كثيرة حيّرت أساطين الفكر والفلسفة في العصور الماضية وأساطين العلم والمعرفة والبحث في العصر الحديث فكيف تناولوها وبماذا أجابوا عنها وما الصحيح حولها ؟

هذه أسئلة سنحاول - بعون الله وتوفيقه - الإجابة عنها سالكين طريق الاختصار لأن الإفاضة فيها تستوجب كتاباً قائماً بذاته لا فصلاً من فصول كتاب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ماهية النفس ما هي ؟

سنقدم تحت هذا العنوان بعض الآراء التي قيلت حول طبيعة النفس وماهيتها. ولا نزعم أننا **أحطنا إجابات قطعية حول ذلك** فما الذي كان ؟

لقد خلق الله النفس **ورقة بيضاء** وألقى فيها بذور الخير والفلاح كذلك بذور الشر والفساد ويتغير لون هذه الورقة (وتبعاً لذلك يتغير سلوكها) بحسب البذور التي نمت فيها ، فهل هي بذور الخير أو بذور الشر ؟

إذاً : إنها كورقة عباد الشمس تتلون بحسب المحلول الذي يضاف إليها مصداق ذلك قول الله جل وعلا في سورة الشمس ﴿ **ونفسٍ وما سوَّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكَّاها وقد خاب من دسَّاها** ﴾[1].

فما هي هذه الورقة ؟ ما معدنها ؟ أين هي من الجسد ؟ هل يمكن الوصول لماهيتها ؟ وما دلائل ذلك ؟ وما هي برأي الفلاسفة ؟ وما هي برأي الدين .

لقد دعا الله تعالى إلى **التأمل في** موضوع النفس بل في أعماقها دعوة صريحة فقال ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين وفي **أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾[2].

فاستجاب لهذا النداء العالم بأسره مؤمنه وكافره فقيل في ماهية النفس وكتب عنها في كل اللغات ومن قبل كل الشعوب كتابات تناقضت أحياناً وتقاربت أو توافقت أحياناً أخرى . فلقد كتب الفلاسفة القدماء عن ماهية النفس فقالوا : **إنها كائن غير مرئي يسيِّر الجسد ويرعى شؤونه .. يدبر أمره ويتصرف به** . وكانوا يخشون هروبه أثناء الليل فيضعون العراقيل في فتحات أجسامهم عند النوم كالحصى

---

[1] سورة الشمس : الآية من ٨-١٠ .

[2] سورة الذاريات : الآية من ٢٠-٢١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذات الحافات والنتوءات الحادة والحسك مثلاً خوفاً من حصول ذلك ، وتكلموا عن **صعوبة تحديد مكان وجوده في الجسم** .

ومما قيل أيضاً : النفس **وهج نوراني يحرك الجسم دون أن يُرى** وذكر أبو بكر الباقلاني[1] أن النفس هي ذاك النسيم الذي يدخل الجسم ويعود إليه خلال عملية التنفس . على ذلك يكون هذا قد وحّد بين النفْس وبين النَفَس من حيث إن كليهما يغادر الجسد عند الموت .

أما أرسطا طاليس يقول : إن النفس **جوهر بسيط بُثّ وانتشر في كل ذي روح بالعالم وذلك كي يعمل ذلك المخلوق بواسطة هذا الجوهر ويدبر أموره ، لا تجري عليه صفات الزيادة والنقصان ، وأنه يكون بمعنى واحد في كل حيوان في العالم** وحكى الحريري عن جعفر بن مبشر قال : إن النفس هي جوهر وليس هذا الجوهر هو الجسم وإنما يكون له **كابنه أي يقترب من الجسم اقتراب الابن من أبيه** ، بذلك تكون النفس وفق هذا المفهوم اقتربت مما جاء به القرآن وعلم النفس فيما بعد كما سنرى وقيل إنها **حركة مادة الجسم** أي هي الوسيلة التي يحيا الجسم بواستطتها وقيل إنها جوهر روحاني قائم **بذاته ، مستقل عن البدن تحيا من دونه وتسعد ولكن لا يحيا البدن إلا بها** ، والسؤال : هل هي من طينة الجسد ؟ أجاب ابن سينا على مثل هذا السؤال فقال : إنها معنوية وليست مادية ، وهي مخالفة لطبيعة البدن . ويستشهد على ذلك بأن الجسم ينمو ويزداد وزنه على حين يبقى للنفس ذات الوزن وليس هناك ما يزيد من وزنها ، ويرى أنها تفارق الجسد وإنها معنوية روحانية هبطت من قبل الله ، وترجع عند الموت إليه ، وينظم في ذلك قصيدة يخاطب فيها الجسد ويتحدث عن النفس فيقول :

هبطت إليك من المحل الأرفع ... ورقاء ذات تعزز وتمنع

محجوبة عن كل مقلة عارف ... وهي التي سفرت و لم تتبرقع

---

[1] من الأشعريين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إذاً هي معنوية لا تحس بالعين أو بغيرها من الحواس .

هذا ما قيل في ماهية النفس / ماديتها أو معنويتها ، استقلالها عن البدن أو توحّدها معه / على كل هذه مسألة معقدة والوصول إلى جواب شاف وواف حولها أمر صعب خصوصاً أن الله سبحانه وتعالى لم يكشف عن ذلك بل اكتفى بالقول ﴿ ونفس وما سوّاها ﴾[1] **أما رأينا نحن في ماهيتها فنطرحه** على الشكل التالي :

النفس مادية بقدر ما هي روحية ، أي فيها من المادة بقدر ما فيها من الروح يكون ذلك على هيئة الاستعداد . لكن الإنسان هو الذي يقربها من المادة إلى أن توافق البدن على ما به من شهوات فتصبح مادية أكثر مما هي معنوية ومثل هذا حصل لهابيل عندما قتل أخاه قابيل كما جاء في القرآن ﴿ فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾[2] وهو الذي يقربها من الروح **(وهي أميل للذلك في أساس خلقها)** فتحلّق في عالم المثل والأخلاق وتنال من الكمال الإلهي لأن الأصل فيها روح الخالق البارئ المصور وهنا يقول الله تعالى : ﴿ فإذا سويته **ونفخت فيه من روحي** فقعوا له ساجدين ﴾[3] هذا ونرى أن النفس تتمتع بالمرونة والليونة وتتسلح بطيف واسع من **الإشعاعات تمتد عن طريقها إلى أن تتصل بالروح الأولى** وهذا ما يحصل للأنبياء وقد يكون لبعض المتصوفين (والله أعلم) أو تنزل إلى حضيض المادة وشهواتها وجشعها ومثل هذه النفس نجدها في هؤلاء الذين ينحدرون بنفوسهم كما قال الله فيهم ﴿ **وتأكلون التراث أكلاً لمّاً وتحبون المال حباً جماً** ﴾[4] .

---

[1] سورة الشمس : من ٨-١٠ .

[2] سورة المائدة : الآية ٣٠ .

[3] سورة الحجر : الآية ٢٩ .

[4] سورة الفجر : الآية من ١٩-٢٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهنا لا بد أن نشير بأننا لم نوحد بين النفس والروح كما قد يستوحي القارئ ، بل إن كل ما رأيناه أن النفس هي **منحة الروح للجسد كي تصبح همزة الوصل بين الروح والجسد إنها حركة المادة ودونها لا حياة في هذه المادة ولا نقصد هنا بكلمة (لاحياة) الموت التام بل نقصد فقط نقص الفعالية الحركية الهادفة والموجهة إذ من دون النفس يبقى الجسد حياً ولكن حياته غير منظمة ، يختل معها عمله السلوكي والحركي والعقلي أي يصبح مضطرباً نفسياً** لاحظ المجنون أو المتخلف العقلي إنه يبقى حياً ولكن حياته غير فعالة لأن عمل النفس معطل ، من هنا يقال مضطرب نفسياً . على ذلك فالنفس تحمل خصائص الإحساس والشعور وتبعاً لذلك الاتزان والتردد والقلق ، المحبة والكره ، الفرح والحزن ومثل هذا المفهوم سايره علم النفس عندما عُرِّف على يد فونت بأنه **علم الخبرة والشعور** وعلى يد واطسن /زعيم المدرسة السلوكية الأمريكية في علم النفس/ على أنه **علم دراسة السلوك . وعن** مكان وجود النفس من الجسد **رأينا أنها موجودة في كل مكان فيه** ، في كل خلية فيه بدليل أن أي خلل يحصل فيه يترافق مع اضطراب نفسي (خوف ، قلق ، حزن ، تشاؤم) إنها في الجملة العصبية المركزية والغدد والأوعية الدموية بدليل أن أي اضطراب يحصل في هذه المراكز يتزامن مع اضطراب وخلل في وظائف الجسم **ومع هذا الخلل ينشأ الوضع النفسي المرافق لهذا الخلل . لاحظ أن إجهاد المرأة** الحامل وإغضابها قد يؤدي لقيام الغدة النخامية بإفراز الهرمون الحافز للطلق ومن ثم حصول طلق كاذب وحصول خوف وقلق لدى هذه المرأة على مستقبل حملها وأن أي خلل في فسيولوجية عمل الدماغ يؤدي لاضطراب في سياق التفكير أو في مدى انسجام الأفكار إنها في العضلات أيضاً بدليل الخلل في السلوك الحركي الذي يرافق الاضطراب النفسي كالارتجاف في الأطراف لدى بعض أشكال الاضطراب النفسي . إذاً هي **موجودة في كل الجسم وبكمالها يكمل الجسم** لهذا جاء أرسطو فعرفها بالقول : إنها كمال أول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يضاف لجسم حي . نخلص للقول إنَّ كمال الجسم لا يكون إلا بكمال النفس وهذا ما أثبتته مدرسة الصيغ أو المدرسة الشكلية في علم النفس والتي ظهرت في ألمانيا عندما قالت **بقانون الإغلاق من القوانين المؤثرة في تشكيل الصيغة** ومفاده أن الشكل الكامل أو المغلق والذي لا ثغرة فيه أوضح من الشكل عديم الإغلاق . لاحظ أن شكل الدائرة أكمل من شكل الزاوية لهذا نجد أن العلم الذي يبحث بها /علم النفس/ قد اتسعت مجالاته وامتدت بحيث شملت كل مجالاتها ووظائفها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أقسام النفس الإنسانية

إنه لمن اللافت للانتباه أن بعض الناس تغلب عليه الحكمة فيكون حكيماً عالماً فقيهاً واعظاً وبعضهم تغلب عليه الشهوة فيكون شهوانياً بهيمياً يركض وراء الملذات حيثما كانت وبعضهم الآخر تغلب عليه قوى أخرى فيقوم بسلوكات أخرى فهل يعني **أن للنفس أقساماً أو أنها واحدة** ؟ ثم إن كانت واحدة فلماذا ينشأ هذا الاختلاف بين الناس بل بين سلوكات الإنسان الواحد في مواقف مختلفة ؟ ثم ما هي قواها أو أقسامها ، أخيراً ألا تعمل هذه الأقسام منسجمة في كل واحد ؟ أسئلة كثيرة سنحاول الإجابة عنها تحت هذا العنوان :

عن السؤال الأول : هل النفس واحدة أو لها أقسام ؟ **نقول النفس التي خلق منها الإنسان واحدة**[1] ولكن لها قوى قد تتغلب منها واحدة على الأخرى فتسمى بالقوة التي تغلبت وانتصرت ومن هذه القوى : **العقل والغضب والشهوة وعن هذه القوى الرئيسة تتفرع قوى فرعية مثل الأمر بالسوء واللوم والنزوع نحو الإطمئنان** فعلى ما سبق هناك نفس عاقلة ونفس غاضبة ونفس شهوانية ولوامة وأمّارة ومطمئنة كما سيرد معنا بعد قليل .

وعن السؤال الثاني : إن كانت النفس واحدة فلماذا يكون هذا الاختلاف بين الناس بل بين سلوكات الشخص الواحد في مواقف مختلفة ؟ في الإجابة عن هذا السؤال سنتعرض لما قاله أرسطو وأفلوطين في ذلك فما الذي قالاه : يقول أرسطو **إن حلول شيء واحد في أجسام مختلفة يؤدي لسلوكات مختلفة**

---

[1] قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ سورة النساء الآية -١- وقال ﴿ وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة ﴾ سورة الأنعام الآية -(٩٨) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لهذا الشيء . ويقول أفلوطين إن تَجزّؤ النفس يكون **من خلال الأعراض لا من خلال الفعل على** ذلك فإن الاختلاف يحصل لحلولها في أبدان مختلفة والتجزئة تكون **بالقوة لا بالفعل** وعن السؤال الثالث ما هي أقسام النفس ؟ سنتعرض لما قاله كل من أفلاطون والفارابي وابن سينا وما قاله القرآن فما هو قول كل منهم ؟

يرى **أفلاطون** أن للنفس ثلاث قوى **تتصارع فيما بينها على تسيير** الشخصية التي حلت بها والقوة التي تكون لها الغلبة هي التي تسمى باسمها فما هي هذه القوى ؟

١- النفس العاقلة :

فضيلتها الحكمة وتعمل وفق مبادئ العقل والإدراك الصحيح ومن تسود عنده يكون حكيماً أو فيلسوفاً وهي التي تقوم بإدراك معطيات الحواس إذاً فالمادة الخام لعمل هذه النفس تقدم من إنتاج الحواس وفي ذلك قال أرسطو لا نفس عاقلة بلا ناطقة لهذا نجد أن كل أصم أبكم ، فما الذي نراه نحن ؟ **نحن نرى أن النطق يتوّج عمل العقل ولكن عمل العقل لا يظهر من خلال النطق فقط** لأن النطق بحد ذاته ليس من إنتاج الأذن أو السمع والعين أو البصر فقط لاحظ أن أبا العلاء المعري كان أعمى ومع ذلك كان فيلسوفاً وشاعراً نخلص للقول إنه كلام صحيح ولكن مبالغ فيه .

٢- النفس الغضبية :

تكون لدى الجنود والمحاربين وتعمل وفق مبدأ الغضب وفضيلتها الشجاعة فبها يمكن لجم النفس الشهوانية ومنعها من قيادة الغضبية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣- النفس الشهوانية :

تسكن في نفوس العبيد والإماء[1] وعامة الناس خصوصاً ذوي البطون من التجار والصناع وتعمل **وفق مبدأ اللذة وفضيلتها العفة** فهي التي تكبح جماح الشهوة وتخضعها لسيطرة العقل وهنا رب تساؤل يأتي القارئ على الشكل التالي : هل تعمل كل نفس مستقلة بما يناقض ويضارب عمل بقية النفوس ؟ ثم أين هي وحدة النفس التي انطلق منها الكاتب ؟ في الجواب نرى **أن الانسجام كل الانسجام في عمل النفس بقواها المختلفة ففي الحالة الطبيعية تخضع النفس الشهوانية للغضبية وتخضع الغضبية للعاقلة وبذلك يكون الوئام والاتزان والانسجام في عمل النفس** أما **الفارابي** الذي لقب بالمعلم الثاني /بعد أرسطو المعلم الأول/ فقد قسم النفس إلى الأقسام التالية :

١- النفس الغاذية أو المتغذية :

يرى الفارابي أن في كل نفس اندفاعها نحو المحافظة على البقاء في هذه الحياة ولا يكون ذلك إلا بالغذاء ومقر هذه النفس برأيه هو الفم وجهاز الهضم .

٢- النفس الحاسة :

وهي الوسيلة الأساس في تحصيل المعرفة وتغذية العقل ولها عدة حواس لكل منها عضو خاص كالعين والأذن والأنف .

٣- النفس المتخيلة :

وهي تعمل مع الذاكرة في حفظ المحسوسات بعد غيابها عن أعضاء الحواس وذلك من أجل إعادة تركيبها والاستعانة بها في تحقيق الإدراك .

٤- النفس الناطقة :

وهي القائدة والمدبرة لكل من الحاسة والمتخيلة ففي كل إنسان نزوع وإرادة نحو العمل انطلاقاً من توجيه العقل وعن أقسام النفس برأي ابن سينا فإنه

---

[1] الأمة : هي العبدة السوداء المملوكة وهذه خلاف المرأة الحرة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يرى أن النفس واحدة ومن جنس واحد ولها عدة وظائف كالتغذي والنمو والتكاثر والإحساس والفكر ولكن قد تتغلب وظيفة واحدة فتتحقق على حساب باقي الوظائف الأخرى وتأخذ اسم المخلوق الذي يتصف بهذه الوظيفة **كأن تغلب وظيفة النمو والتغذية فنقول نفس نباتية** أو تلك الوظائف بالإضافة للإحساس فنقول حيوانية أو كل هذه الوظائف (التغذي والنمو والتكاثر والإحساس) بالإضافة للفكر فنقول نفس إنسانية فماذا عن كل نفس ؟

النفس النباتية :

وهي من أدنى مراتب النفوس ولها عدة وظائف كالتغذية والنمو والتكاثر وقد تتغلب وظيفة النمو أو الرغبة في تحقيق تلك الوظيفة فتسمى النفس النامية وقد تتغلب الرغبة في تحقيق وظيفة التغذية فتسمى النفس المتغذية وقد تتغلب الرغبة في تحقيق التوالد والتكاثر فتسمى النفس المولدة نفهم مما سبق أن النفس النباتية تتغذى وتنمو وتتكاثر .

النفس الحيوانية :

إنها نفس موجودة في كل ذي روح وإن تغلبت في كائن حي كان أقرب إلى البهيمة منه إلى الإنسان ولها قوتان رئيستان هما الإدراك والحركة ولكل من هاتين القوتين عدة قوى جزئية **لاحظ أن القوة المحركة تقسم إلى :**

أ – محركة باعثة : كالشهوة التي تثير النشاط بالحيوان لتولد عنده اللذة . من هنا نجد أن الحيوان تنبعث فيه شهوة تدفعه نحو أنثاه وطعامه .

ب – محركة فاعلة : إنها قوة تنبعث فيها فتحركها لتحقق الغاية المنشودة ، من هنا نجد أن الحيوان يستمر في الحركة باتجاه أنثاه أو طعامه رغم بعض العوائق التي يصطدم بها إلا أن القوة المحركة هي التي تولد فيه إمكانية الاستمرار **ولاحظ** أيضاً القوة المدركة ولها صنفان من القوى :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أ – قوى يستعين بها الإنسان على إدراك ما في العالم **الخارجي** كالحواس جميعها كما في الإنسان الذي يستخدم خمس حواس أو بعضها كما في بعض الحيوانات التي لا ترى أو التي لا تسمع والتي لا تشم علماً بأنها جميعاً تلمس وتتذوق[1] .

ب – قوى يستعين بها الحيوان على إدراك ما في العالم **الداخلي** من مخلفات عمل الحواس وما أبقته من صور ومعان ربما تقوم هذه القوى بإعادة تركيبها ومن هذه القوى **الحس المشترك** .

النفس الإنسانية :

وهي من أكرم النفوس وأفضلها عند الله و لم يذكر ابن سينا قوى لها لأنها **تدرك بالحدس المباشر** على خلاف النفس الحيوانية التي تحتاج إلى أعضاء تستخدمها كآلات في إدراكها لكل شيء في حياتها ، وتشريفاً لقدرها فقد ورد ذكرها في القرآن مرات عدة تحت مسميات عدة فسماها لوامة وسماها مطمئنة وسماها راضية مرضية كما سيأتي يبقى أن نجيب عن تساؤل البعض حول **وجوه الشبه بين** نفس الإنسان ونفس الحيوان فنقول : تشترك النفس الحيوانية مع الإنسانية في كل القوى ما عدا العقل والنطق فبالعقل يميز الحسن من القبيح والخير من الشر وهذا لا يستطيعه إلا الإنسان وبالعقل والتأمل تدرك قوة الخالق وعظمته وهذا لا يوجد إلا في الإنسان وإن كان بعضها يهتدي إلى طعامه ومأواه فنقول بالغريزة يكون ذلك .

وعن التساؤل الثاني ماذا نقول عن النحل الذي يبني بيوتاً ومماللك بتصميم هندسي ربما لا يستطيعه الإنسان ؟ في الإجابة نقول : إن هذا المخلوق يبني ذلك

---

[1] دودة الأرض لا تبصر ولا تسمع وإنما تعتمد على ملامسة التراب لجسمها فتحس بجفافه وبتهديد أمن حياتها أو بابتلاله فتلتهمه وتقتات عليه إذاً هي تحس وتتذوق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالتسخير والإلهام والغريزة لا بالعقل والتفكير مصداق ذلك قوله تعالي ﴿ **وأوحى ربك إلى النحل** أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ﴾[1] فعن طريق الإلهام تدرك الشاة عداوة الذئب فتهرب منه ويدرك الطفل ثدي أمه فيقترب منه . هذا قليل من كثير مما قاله العلم والعلماء في أقسام النفس وقواها فما الذي قاله واهب العلم ومعلم العلماء في القرآن يا إنسان ؟

---

[1] سورة النحل : الآية ٦٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أقسام النفس في القرآن

لعلنا لا نخطئ الهدي القرآني إذا ما عدنا نكرر ما قاله ابن سينا بأن النفس واحدة وهي كلّ يحتوي على عدة قوى مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ وهو الذي أنشأكم من **نفس واحدة** فمستقر ومستودع قد فصّلنا الآيات لقوم يفقهون ﴾[1] إذاً هي واحدة في القرآن ولها عدة قوى من خلالها تكون أو لا تكون لأن هذه القوى هي التي تظهر النفس بالصورة التي تكون عليها وذلك بحسب ما يغلب **من هذه القوى** فعلي ذلك ومن منطلق هذا الفهم يمكن القول إن أقسام النفس في القرآن هي :

١ – النفس العاقلة الناطقة :

وهي من أعلى مراتب النفوس وأرقاها ولا توجد إلا في الإنسان وبسببها مُيّز عن بقية المخلوقات وفُضِّل فقال تعالى ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم** ﴾[2] وهي النفس العالمة ، والمدركة ومن دونها لا علم للإنسان ولا تعلم ولا إدراك ﴿ **علمت نفس** ما قدمت وأخرت ﴾[3] وهي النفس التي تناقش وتجادل وتدلي بالحجج والبراهين لتدفع الشّر عن ذاتها وتقرب الخير منها وفي ذلك قال تعالى ﴿ **يوم تجادل كل نفس عن نفسها** وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ﴾[4] وهنا قد يسأل سائل أين العقل وأين النطق في ذلك ؟ في الجواب نقول : أيكون الإدراك والعلم دون عقل أم يكون النقاش والجدال دون نطق ودون لسان !

---

[1] سورة الأنعام : الآية ٧٩ .

[2] سورة الإسراء : الآية ٧٠ .

[3] سورة الانفطار : الآية ٥ .

[4] سورة النحل : الآية ١١١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢- النفس الغضبية :

إنها نفس تهوى **الجهاد بل لا تعيش** إلا من خلاله لهذا فهي في نفوس المحاربين كما قال أفلاطون وفي نفس إنسان غضب لا تنتهك حرمة الحق وفي ذلك قال رسول الله (ﷺ) « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » والسؤال الملحاح هنا هل تعمل هذه النفس بهدي من العقل أو بنزوع من الشهوة ؟ في الجواب نقول : إنها تعمل **بهدي من العقل** تارة (لدى المؤمن) كما حصل لأحد الصحابة واسمه عمير بن الحمام في غزوة بدر عندما ما سمع رسول الله (ﷺ) يقول : ما بينكم وبين الجنة إلا بدر وكان بيده تمرات يقتات عليها فوازنها بثمار الجنة فرجحت الأخيرة فقال بخ بخ لهذه التمرات وألقى بها على التراب **وانطلق محارباً تقوده نفسه** الغضبية (التي أخذت عن النفس العاقلة بأن دار الآخرة هي خير وأبقى) إلى أن استشهد وقضى نحبه في سبيل الله وهي موجهة بهدي **النفس الشهوانية والأمارة بالسوء** (لدى البعيد عن الحق) تارة أخرى ، شيء من هذا حصل لقابيل الذي قتل أخاه هابيل لا غضباً لله بل غضباً للنفس الشهوانية التي لم يكن لها من النسوة ما كان لهابيل فندمت أخيراً على فعلها كما ورد بالقرآن ﴿ فأصبح من النادمين ﴾[1] ومثل هذه النفس هي التي قصدها رسول الله محمد (ﷺ) عندما قال : **أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك** ومثل هذه النفس يجب مجاهدتها ومعاداتها وهي التي نقصدها بالقول : أفضل الجهاد أن تجاهد نفسك من هنا نؤكد صحة ما ذهب إليه أفلاطون عندما قال : فضيلة النفس الغضبية الشجاعة أي الجهاد في سبيل الحق ونصرته حيثما كان والحق كما نعلم من العقل لا من الشهوة لهذا جاء كارنيجي أحد علماء النفس فقال لا تدع دوافعك تغلبك على أمرك .

---

[1] سورة المائدة : الآية ٣١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣- النفس الشهوانية : ولها جانبان :

جانب سلبي : إنه نزوع بهيمي حيواني في النفس الشهوانية عبَّر عنه علم النفس بالآيروس ويعمل وفق مبدأ اللذة فقط فالذي يسيطر هذا الجانب على سلوكه يكون بعيداً عن الرشاد وفي عداد البهائم الذين قال الله فيهم ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس **لهم قلوب لا يفقهون** بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾[١] وفي هذا قال الكندي[٢] : إن من يتغلب عليه هذا الجانب **يكون كالخنزير إذاً إن من تسيّره شهوته يكون كالدوابّ بل كالخنزير من شر الدواب** الذي يصم آذانه عن سماع الحق ويغلق عقله عن التفكير فيه وينقاد لشهوته ومثل هذا وأمثاله قال الله فيهم : ﴿ إن شر الدواب عند الله **الصم البكم الذين لا يعقلون** ﴾[٣] .

جانب إيجابي : ليست النفس الشهوانية شريرة سلبية بكل اندفاعاتها ونزوعاتها بل لها اندفاعات مشروعة ومباحة ومشجع على إتيانها حتى في القرآن وبعضها مفروض على الإنسان . **لاحظ شهوة الجنس هي ضرورة لاستمرار النوع البشري وبقاء الإنسان** سيداً لهذا الكون لهذا قال الله تعالى في كتابه العزيز ميسراً للإنسان إتيان هذا الجانب من النفس الشهوانية ﴿ فانكحوا **ما طاب لكم من النساء** مثنى وثلاث ورباع ﴾[٤] وقال أيضاً ﴿ وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾[٥] وقال رسول الله (ﷺ) « من كان موسراً **لأن ينكح ولم ينكح فليس مني** » ومن ناحية ثانية نجد أن شهوة الطعام ضرورية للاستمرار في الحياة وعلى

---

[١] سورة الأعراف : الآية ١٧٩ .

[٢] أبو يوسف ابن اسحاق من قبيلة كندة لقب بفيلسوف العرب - ٨٢١ - ٨٦٦ م .

[٣] سورة الأنفال : الآية ٢١ .

[٤] سورة النساء : الآية ٢ .

[٥] سورة الواقعة : الآية ٢١-٢٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإنسان أن يأكل من طيبات الرزق ومما تشتهيه الأنفس وفي ذلك قال الله تعالى : ﴿ وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا **عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم** وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾[1] وقال في آية أخرى حاضّاً على أكل ما تشتهيه النفس ﴿ **ولحم طير مما يشتهون** ﴾[2] .

على ما سبق فهي موجودة بجانبيها الإيجابي والسلبي والسؤال : أليس لها لجام يحجم اندفاعها كما كان للغضبية لجام ؟ في الجواب نقول : نعم مكررين في ذلك كلام أفلاطون بأن فضيلة النفس الشهوانية هي العفة . والعفة هي التي تحفظ الكرامة للإنسان كما قال رسول الله محمد (ﷺ) : «عفوا تعف نساؤكم وبناتكم» وهي التي تحول دون المرض المميت (الإيدز أو مرض نقص المناعة) هذا عن لجام شهوة الجنس فماذا عن لجام شهوة الطعام ؟ أيضاً العفة هي لجام شهوة الطعام . لاحظ أن أقل **الناس أعماراً هم أكثرهم اهتماما ببطونهم** كما يقولون « لاحظ أن مرضى القلب أول ما يمنعون من الطعام الدسم وفي لجام شهوة الطعام يقول نبي الله محمد (ﷺ) المعدة بيت الداء **والحمية هي رأس كل دواء** إذاً بالعفة أو بالحمية ندرأ كل أمراض النفس الشهوانية . خلاصة القول : إن للنفس الشهوانية جانباً مشرقاً يتمثل في العفة والشجاعة وهذا الجانب يؤدي لدخول الجنة قال تعالى ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾[3] .

وهناك تجد النفس كل ما تشتهيه وفقاً لما قاله تعالى ﴿ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعيون وأنتم فيها خالدون ﴾[4] ولها جانب وضيع سلبي يتمثل في العدوان ومخالفة الشرع مقابل إرضاء النفس ويؤدي لدخول النار ويقع ضمن هذا

---

[1] سورة البقرة : الآية ٥٦ .

[2] سورة الواقعة : الآية ٢٠ .

[3] سورة النازعات : الآية من ٣٩-٤١ .

[4] سورة الزخرف : الآية ٧١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجانب كل زان وكل مراب وكل سارق ... وغير ذلك .

٤- النفس الأمارة بالسوء :

إنها نفس ملحاح في طلب ارتكاب المعاصي ودائبة على فعل المنكرات ولا تقصد تحقيق لذة عاجلة كمن يكون ماراً ببستان فاشتهى ثمرة يانعة فقطفها وأكلها بل تقصد الإصرار على إضرار الآخرين كمن يشهد الزور أو كمن يقطع الطريق أو كمن يُفرِّق بين المرء وزوجه وهنا في هذه **النقطة تختلف عن** النفس الشهوانية وإن كانتا / النفس الأمارة والنفس الشهوانية / متشابهتين في تطابقهما مع مبدأ اللذة وتحقيق رغبات البدن وهذه النفس تنتظر من النفس **العاقلة أقل غفلة ومن النفس الغاضبة أدنى تهاون لتنشط وتورط الإنسان في ارتكاب المعاصي وفعل الشرور** ومثل هذه هي التي قال الله تعالى فيها ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس **لأمارة بالسوء** إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم [1] نفهم أن النفس الأمارة سميت كذلك لأنها تخطط **لارتكاب المعصية وتصرّ على** ذلك متعدية حدود الله فتظلم ذاتها ، وهنا لعله قد خطر على ذهن القارئ **تساؤلان** أولهما هل تكون هذه النفس في شخصيات محدودة أو لدى كل إنسان ؟ والسؤال الثاني ما فرقها عن النفس الشهوانية ؟

في الإجابة عن السؤال الأول نقول : **إنها تكون في كل إنسان وفي كل زاوية من زوايا نفسه الشهوانية** ولكنها نشطة فعالة لدى الكافر والمنافق ومقهورة ضعيفة لدى المؤمن . وفي الإجابة عن السؤال الثاني نقول : إن الاشتباه الذي ينتاب القارئ في التمييز بينهما هو أمر طبيعي وكيف لا وأن النفس الأمارة **هي الجانب السلبي من النفس الشهوانية** بعد أن نشط وأفلت من رقابة العقل ومبادئه لذلك نجدها تتوتر وتندب حظها وتلومه عند فوات ارتكاب المعصية على ما سبق نرى أن

---

[1] سورة يوسف : الآية ٥٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النفس الأمـارة تقـوى عنـد مـن تضعـف عنـده النفـس اللوامـة لأن النفـس الأمـارة واللوامة على طرفي نقيض .

٥- النفس اللوامة :

ورد ذكر هذه النفس في القـرآن بشـكل صريـح وبلسـان المبالغـة علـى وزن فعالة فقال ا لله تعالى ﴿ فلا أقسم بيوم القيامة **ولا أقسم بالنفس اللوامة** ﴾[1] .

فما هي هذه النفس ولماذا ورد ذكرها على هذه الصيغة .. كيف هـي لـدى المؤمن وكيف هـي لـدى الكـافر أخـيراً هـل أن وجودهـا دليـل علـى اضطـراب في الشخصية ؟ أسئلة كثيرة نجيب عنها ضمن الحديـث عـن هـذا العنـوان وفي الإجابـة نقول : هناك من رأى بأن النفس اللوامة هي نفس سيدنا آدم عليه السـلام الـتي مـا تزال تلوم نفسها على فعلها الذي خرجت بموجبه من الجنة أما نحن فنرى أنها نفس سيدنا محمد (ﷺ) الذي كان يحرص على فعل أكبر قدر ممكن من الخير ويتهم نفسـه بالتقصير ويلومها على ذلك إذ كان يقول عندما كان يلفظ أيـة كلمـة أو يفعـل أي فعل : **ما لهذا خلقت كلا .. لم أخلق لهذا** وكذلك عندما كان يهم بفعل كل عمل كان يـتردد فهـل هـذ الـتردد في شـخصيته دليـل اضطـراب ؟ في الجـواب نقـول لا وكيف يكون ذلك دليل اضطراب وهو المنزه عن كل نقص .. ثم هل يجوز لنـا أن نتهم من يقصد الكمال ويسعى إليه ويتطلع نحوه بالتردد ؟ الجواب لا وقياسـاً علـى ذلك من يجد بعض التردد في إقدامه على بعض الأعمال أملاً في الوصـول إلى المزيـد من الخير وخوفاً من حصول القليل منه فلا يكون متردداً ولا يعتبر نفسه كذلك لأن لنا في رسـول ا لله أسـوة حسـنة لذلـك جـاء الحسـن البصـري ليقـول : **إن النفـس اللوامة هي نفس المؤمن فالمؤمن لا تراه إلا لائما نفسه** وهي كما يقول : الدكتور

---

[1] سورة القيامة : الآية من ١-٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حامد عبد السلام زهران[1] أفضل سبيل من سبل تشكيل الوقاية من الاضطراب النفسي لأنها **تلوم الجانب المادي** وما يتعلق به من الجسد وتقصد الوصول إلى النفس المطمئنة ذاك الجانب الروحي المعنوي الذي يحقق الصفاء والهدوء ويبتعد بصاحبه عن النفس الشهوانية الذي يمثل القسم الدنيء من الجانب المادي ويكون بذلك **قد وفق بين هذين الجانبين المادي والمعنوي من الجسد ومهد السبيل لقيام النفس البصيرة** وبروزها إلى حيز الفعل **وبذلك يبصر عن طريق العقل بدلاً من العين مخترقاً الحجب وممزقاً السدول .**

وعن سبب **اقتران** ذكر النفس اللوامة بيوم القيامة قالوا : إن بين كلا المفهومين قاسماً مشتركاً هو **محاسبة الإنسان** ولكن القيامة تحاسب الإنسان في الحياة الآخرة والنفس اللوامة تحاسب الإنسان في الحياة الدنيا ، ورب سائل يسأل ألم يرد ذكر هذه النفس ضمن أقسام النفس لدى أرسطو وأفلاطون ؟ في الإجابة نقول : ورد ما يعنيها ولكن دون تأكيد على التسمية بل ضمن الحديث عن النفس الغضبية وبالفعل **فإن الغضب من شيء يعني لومه وتقريعه وعدم قبوله والتنكر له** وهذا الرفض كله لا يكون دون وعي ودون إدراك ودون عقل على ذلك فالنفس اللوامة تهتدي بنور العقل والسؤال أيكون اهتداؤها بالعقل بشكل دائم ولدى المؤمن والكافر على السواء ؟ في الجواب نقول : النفس اللوامة **قسمان** وذلك بحسب من تحل به .

أ – نفس المؤمن اللوامة :

إنها النفس التي أقسم الله بها عندما قال : ﴿ ولا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ وجدير بالذكر أن (اللا) زائدة في الحالتين والتقدير أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة وهي كذلك التي قصدها الحسن البصري عندما

---

[1] أستاذ الصحة النفسية بجامعة عين شمس في مصر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال : **إن المؤمن لا تراه إلا لائماً لنفسه** كما بينا سابقاً وهي النفس التي تلوم ذاتها على التقصير والتفريط في جنب الله وتأمل التعويض فتقول : ﴿ ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله ﴾[1] .

وهنا فإن التحسر والندم لا يكون دون تفكير ومراجعة للذات أي لا يتم دون عقل ومثل هذه نفس شريفة تهتدي بنور العقل الذي كشف مبادئ ومثل الأخلاق والضمير أمامها وأخذت بها وتمثلتها حتى **كانت هي الضمير والأخلاق** فاستحقت ذاك الشرف فأقسم الله بها فقال : ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم ... ﴾ .

ب – نفس الكافر اللوامة :

هذه نفس ظالمة يلومها الله ويلومها الناس وتلومها الملائكة حتى إنها تلوم ذاتها ولومها لذاتها **يكون في حالتين :**

أ – حالة عدم تمكنها من تحقيق اللذة وضياعها عليها وحتى إن كان ذلك في الإثم وارتكاب المعصية ومثل هذه نجدها لدى منحرف جنسياً أضاع على نفسه فرصة انحراف فندم على ما حصل له ولام نفسه ولام الواعظ الذي نصحه بالابتعاد ونجدها لدى سارق أضاع على نفسه مردود سرقة كان ينويها فندم ولام نفسه لأنه لم يسرق .

ب – **حالة مذنب أقر بذنبه واعترف بخطيئته فلام نفسه** لأنه أتاها ولكن كان ذلك في وقت لا ينفع معه الندم وفي مثل هذا يقول الله تعالى : ﴿ ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً ﴾[2] .

---

[1] سورة الزمر : الآية ٥٥ .

[2] سورة النبأ : الآية ٣٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٦- النفس المطمئنة :

إنها النفس التي أيقنت بأن الله ربها وأنه سيدافع عنها ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾[1] وأنه وليها في الدنيا والآخرة ﴿ **نحن أولياؤكم** في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾[2] فأنهت الصراعات التي كان يعيشها صاحبها بالطمأنينة لله والإنابة إليه والثقة بعدالة حكمه وأنه لا يفلت ظالم من عقابه فكانت راضية به رباً وبكل ما يأتي عنه فنالت بذلك رضى الله عنها واستحقت أن تكون راضية مرضية وكيف لا تنال هذا الشرف والله يقول : ﴿ وإن تشكروا يرضه لكم ﴾[3] إنها نفس متكيفة متوافقة مع كل جوانب الحياة سعيدة بكل ما فيها ولم لا وأن **السعادة لا تكون إلا في الرضى** وفي ذلك يقول رسول الله (ﷺ) « وأرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » إذاً لاسعادة دون طمأنينة ولا طمأنينة إلا بإرضاء الله فبإرضاء الله يكون الأجر العظيم الذي يسعد الإنسان ﴿ ومن يفعل ذلك ابتغاء **مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً** عظيماً ﴾[4] وجدير بالذكر أن بعض الناس قد رأى السعادة في تحقيق أكبر قدر ممكن من متاع الدنيا فهؤلاء أمام لذة لا أمام سعادة وحتى إن كانت اللذة مرحلة دنيا من مراحل السعادة ، إنهم من غير أصحاب النفس المطمئنة خصوصاً أن ذلك غالباً ما يرافق البعد عن الله فكيف تكون السعادة **والسعادة لا تكون مع الشعور بالإثم** ، إنهم بعيدون عن الله بدليل أنهم يتجاوزون حدود الله ألا تلاحظ معي أن أكثر حالات **الانتحار تقع في الدول الغنية المترفة** ؟ أين الطمأنينة ؟ وهل تجتمع الطمأنينة مع الانتحار فمثل هؤلاء (**وهم يعرفون ذلك**) قال الله فيهم ﴿ إن الذين لا يرجون لقاءنا **ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين**

---

[1] سورة الحج : الآية ٣٨ .

[2] سورة فصلت : الآية ٢١ .

[3] سورة الزمر : الآية ٧ .

[4] سورة النساء : الآية ١١٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾[1] هذا وللنفس المطمئنة جنود تستعين بهم في تحقيق التكيف النفسي الذي هي فيه ومن هؤلاء الجنود اليقين با لله ، والإيمان بالعودة إليه ، والقرب منه وأنه المليك المقتدر ، كما قال تعالى : (في مقعد صدق **عند مليك مقتدر**)[2] وعن العلاقةبين النفس المطمئنة والنفس العاقلة نقول إنها علاقة جدلية فلا يعمل **العقل ضمن** أجواء التوتر أي دون اطمئنان واتزان لاحظ أن القاضي ينصح بعدم إصدار الأحكام في حالة الغضب **ولا يحصل اطمئنان دون عقل** لاحظ المجنون أو المضطرب نفسياً لا يثق بأحد . أخيراً رب سائل يقول لماذا لم يتحدث الكاتب عن النفس الراضية والمرضية كقسمين مستقلين من أقسام النفس ؟ الجواب لم نشأ ذلك لأنهما **مرحلتان من مراحل الوصول إلى الاطمئنان** أي هما من النفس المطمئنة بل من صفاتها لحظة العودة إلى ا لله والإنابة إليه مصداق ذلك ما قاله ا لله تعالى في صريح خطابه ﴿ يا أيتها النفس **المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية** فادخلي في عبادي وادخلي جنّتي ﴾[3] .

خلاصة وتعقيب حول أقسام النفس :

لعل خير ما نختم به الحديث عن أقسام النفس السؤالان التاليان :

أ – ما الدلائل على وحدانية النفس بعد كل هذه الأقسام ؟ ثم كيف يتحقق الانسجام للنفس وكيف يكون الفعل متناسقاً ؟ في السؤال الأول نكرر ما قلناه بأن جوهر النفس يبقى واحداً رغم تعدد وظائفه وتنوع الجنود القائمين على تأدية تلك الوظائف وتبقى النفس هي ذاك الرباط الذي يجمع تلك الوظائف وذاك القائد الذي

---

[1] سورة يونس : الآية ٧–٨ .

[2] سورة القمر : الآية ٥٥ .

[3] سورة الفجر : الآيات من ٢٧–٣٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ينظم عمل أولئك الجنود بحيث يؤدي كل منهم عمله بنظام واتزان وسلام وأن نسبة ذلك الرباط إلى باقي أجزاء النفس كنسبة الحس المشترك إلى بقية الحواس ومما يدل على أنها واحدة .

أ) إن الإنسان يسمع كلاماً فيفهم معناه ويعرف الغرض منه ، ويغضب من شيء ويشعر بغضبه ، ويشتهي ويشعر بشهوته وكلّ من هذه المشاعر يكون مستقلاً عن الآخر ومنعزلاً عنه وهذا يشير **إلى أن النفس واحدة وهي نفسها التي تشتهي وتغضب أو تفهم** ولو كانت متعددة داخل الإنسان الواحد لغضب هذا الإنسان واشتهى وفهم وانشرح في آن واحد وهذا لم يحدث .

ب) إن الإنسان يدرك ما حوله ويكون هذا الإدراك هو سبب الشهوة والاقتراب أو الامتعاض والنفور والازورار أو الطمأنينة والاتزان والهدوء وكل ذلك يستند إلى جوهر واحد هو الدماغ بتلافيفه وتجاعيده بدليل أن تخريبه يؤدي إلى إبطال هذه الوظائف **إذاً النفس واحدة وهي المبصرة** وهي العالمة وهي اللائمة وهي الغاضبة وهي المطمئنة وهي الراضية .

وفي الإجابة عن السؤال الثاني **نرى أن الانسجام يكون للنفس عندما يحصل التنسيق بين قواها وتحقق وظائفها ويطبق النظام في العلاقة بين جنودها فتخضع الشهوانية للغضبية .**

وبالأخص لرقابة اللوامة وأخلاقها وتخضع اللوامة والغضبية لمبادئ العاقلة وتكون عندئذ النفس المطمئنة والبصيرة كما يرى الدكتور حامد عبد السلام زهران[1] في كتابه الصحة والنفسية والعلاج النفسي فعند حصول النفس البصيرة يكون القرار صائباً ومتزناً والفعل حكيماً ورزيناً .

---

[1] أستاذ الصحة النفسية – كلية التربية – جامعة عين شمس – مؤلف كتاب الصحة النفسية والعلاج النفسي وكتاب الإرشاد النفسي وكتب أخرى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

آفاق النفس إلى أين تمتد ؟

يقول الله تعالى : ﴿ **ولا نكلف نفساً إلا وسعها** ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون ﴾[1] .

إن تدبراً **بسيطاً** في هذه الآية ينتهي بنا للقول بأن **للنفس آفاقاً تمتد** إليها فما هي هذه الآفاق ؟ للإجابة عن هذا السؤال نتناول البحث من **منطلقين** :

أ - منطلق عام ويخص مجالات النفس .

ب - منطلق خاص ويخص قدرتها وقوتها .

أ - آفاق النفس من المنطلق العام :

لقد بدأت آفاق النفس تتكشف ومجالاتها تتسع منذ أن أوجد العالم النفسي الإنكليزي فونت أو ونت **مختبره النفسي في لينبرغ** عام ١٨٨٩ إذ أصبح بالإمكان قياس القدرات النفسية للإنسان في هذا المختبر ومنذ ذلك الحين كثر عدد المشتغلين بموضوع النفس ، فمنهم من اشتغل في المختبرات وهؤلاء درسوا السلوك والإحساس والإدراك والتعلم والحفظ والتذكر وبحثوا في فسيولوجيا الدماغ والوظائف النفسية للجملة العصبية ووضعوا روائز ومقاييس لقياس جوانب مختلفة من الشخصية ، في حين أن الذين اشتغلوا في العيادات درسوا المرض وحاولوا شفاءه ودرسوا النفس البشرية والعقل الباطن والأحلام والرغبات ولا سيما المكبوتة منها ، **وأرجعوا دراساتهم إلى الطفولة وإلى تفاعل الإنسان مع البيئة ودرسوا كذلك كيف ترسل النفس وكيف تستقبل وبذلك أوضحوا أن أفق النفس**

---

[1] سورة المؤمنون : الآية ٦٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البشرية قد امتد إلى كل ميدان في الكون وكيف لا والنفس هي التي تعمر هذا الكون ومن دونها يصبح خراباً لا حياة فيه .

ب – آفاق النفس من المنطلق الخاص :

قال الله تعالى : ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾[1] وقال أيضاً : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا **نكلف نفساً إلا وسعها** أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾[2] وقال في آية ثالثة ﴿ لا تكلف نفسٌ إلا وسعها ﴾[3] فيتضح من هذه الآيات أن للنفس قدرة تتسع لها وطاقة تتصل من خلالها وتمتد مسافرة آلاف الكيلو مترات لتفرغ حمولتها بكل أمانة فما هي تلك القدرة ؟ وكيف تكون ... ومن أين تأتي النفس ؟ في الإجابة نقول : تلك القدرة تكون من خلال قدرة النفس على الامتداد بعيداً لتحقق الاتصال رغم كثرة الحواجز ووعورة الطريق . شيء من ذلك تحقق لعمر بن الخطاب عندما اتصل بسارية وقال له يا سارية الجبل الجبل[4] وسمع سارية نداء عمر واستجاب له وربح المعركة رغم أن الأول في شبه الجزيرة العربية والثاني في بلاد فارس . وهذا ليس بغريب (كما يظن القارئ لأول وهلة) لأنه **من أمر الله والهدف الذي يسعيا من أجله هو نصرة دين الله فلا يكلف ذلك شيئاً سوى أن يزيل الله** الستار ويكشف الغطاء وتبصر البصيرة بدلاً من العين وفي **ذلك يقول تعالى : ﴿ فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾**[5] .

---

[1] سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

[2] سورة الأعراف : الآية ٤٢ .

[3] سورة البقرة : الآية ٢٣٣ .

[4] للمزيد من المعلومات في تفسير هذه القصة اقرأ كتابنا الخاسة السادسة بين منظاري الباراسيكولوجية والقرآن – صفحة ٩ وما بعد .

[5] سورة ق : الآية ٢٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إذاً تحققت الرؤية لعمر بن الخطاب عن غير طريق العين ، والسماع لسارية عن غير طريق الأذن ، فكيف يكون ذلك ؟ بمعنى آخر كيف يكون الاتصال .. ما هي آليته ؟

في الإجابة نقول : أجمعت البحوث التي تمت حول هذا الموضوع على أن موجات كهرطيسية من نوع ما ترسلها نفس معينة وتحملها على تردد معين إلى نفس تكون مولّفة أو معيَّرة على نفس التردد وتتمكن من الاستقبال وهذا ليس ببعيد فجهاز الإرسال في الرادار يرسل ترددا مقدراً إلى جهاز الاستقبال في الطائرة ويكون الأخير مولفاً على ذات التردد فيتمكن من استقباله ويعيد النتيجة من ذات الطريق إلى جهاز الاستقبال بالرادار وتظهر إشارة أمام قارئ الشاشة تعلمه بأن الطائرة صديقة أو مجهولة . فإذا كان جهاز صنعه الإنسان قد حقق مثل ذلك أفلا يستطيع دماغ أبدعه **خالق الإنسان ذلك ؟!** وعن السؤال الثالث من أين تأتي النفس تلك القوة ؟ في الجواب نقول : إن تلك القوة **تأتيها من الروح لأن النفس بحد ذاتها هبة الروح للجسد وهي للروح أقرب منها للجسد بل هي صلة الروح** بالجسد ولكن هل للروح تلك القدرة على الامتداد والاتصال بحيث تهبها إلى النفس في بعض الحالات ؟ في الإجابة نقول نعم وهذا ما حصل ويحصل لبعض المتصوفين إذ تتصل أوراحهم بفيوض الله وتأخذ عنها مباشرة ومثل هذا ما تحسسه ابن سينا[1] ولمسه عندما قال :

سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت ... ما ليس يدرك بالعيون الهجع

وقد أكد القرآن ذلك عندما قال : ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾[2] فمن يتق الله يصله به ويعلمه مباشرة وهذا ما تحقق **لرسول الله محمد ﷺ إذ كان يأخذ**

---

[1] ملقب بالشيخ الرئيس وهو من كبار العباقرة والفلاسفة الذين قدموا للبشرية خدمات كبرى في ميدان الطب والحكمة والموسيقا .

[2] سورة البقرة : الآية ٢٨٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن ربه مباشرة وقد وضحت الحقيقة جلية عندما قال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى **إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى** ﴾[1] .

وكان **تاويه** زعيم الديانة التاوية في الصين يقول : « **نحن نعلم كل شيء من لا شيء** » أي دون الاستعانة بشيء من حطام الدنيا وهذا ما عبّر عنه **ابن سينا تحت عنوان إشراق النفس وقال : إن الناس متفاوتون في إشراقهم** .

أخيراً رب سائل يسأل أين دور الحواس الخارجية وأين دور الحس المشترك في توليد طاقة النفس ؟ في الجواب نقول إن المعلومات الخارجية ترد إلى الدماغ عن طريق الحواس الخمس والمجموع الكلي لناتج تلك المعلومات يساعد النفس بطريق الحس المشترك الذي يصبح بدوره مصدراً لتحقيق معرفة حدسية **وتلك المعرفة الحدسية المباشرة يسميها البعض الحاسة السادسة** وإن كان للحاسة السادسة أسماء أخرى كثيرة .

فهل يمكن تدريب النفس على استخدام هذه الحاسة ؟ هذا ما كنا قد أجبنا عنه في كتابنا الأول الحاسة السادسة بين منظاري الباراسيكولوجيا والقرآن .

---

[1] سورة النجم : الآية من ٣-٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وظائف النفس ما هي ؟

يرى ابن سينا أن للنفس وظيفتين هما :

١) **سياسة أمر البدن ورعايته** وضمان الحماية له سواء من الأمراض الجسدية أو من الاضطرابات النفسية . ففي حقل حمايته من الأمراض الجسدية انظر كيف تؤمن الغذاء الصحيح والشهي الذي يشبع البدن ويؤمّن حاجياته ويدفع عنه الأخطار ، من هنا نجد أن **النفس الشهوانية قد وجدت لتحقيق أغراض عدة ومنها بل من أهمها تأمين العناصر الغذائية للبدن** من بروتينات وأملاح وعناصر غذائية أخرى والنفس **الغضبية للدفاع عن الجسم وحمايته وإبعاده عن الشرّ والخوف والتوتر** .

٢) **إدراك المعقولات :**

لاحظ كيف تنقل المحسوسات من المستوى الحسي المشخص المسموع والمرئي والمحسوس إلى المستوى الرمزي المجرد غير المحسوس ، دون أن يتأثر الفهم مع بقاء المعنى . فبواسطتها نعرف الكل من خلال خاصية من خواصه كأن نعرف المركبة ونوعها وحمولتها من خلال صوت محركها فنقول : سيارة شحن كبيرة محملة بحمولة ثقيلة من نوع ... كل هذا يحصل بواسطة **النفس العاقلة** لذلك هي التي تثاب في الآخرة وهي التي تعاقب وفي ذلك قال تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً **إلا وسعها** ﴾[١] وقال أيضاً : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله **ولتنظر نفس ما قدمت** لغد واتقوا الله ﴾[٢] ونرى أن للنفس وظيفة ثالثة هي :

---

[١] سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

[٢] سورة الحشر : الآية من ١٨-١٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣) الحيلولة بين النفس الأمارة وبين تحقيق أهدافها وتطهير الذات وتحقيق الطمأنينة لها وإدخال السرور والصفاء ، كل هذا تقوم به النفس اللوامة أولاً والمطمئنة ثانياً .

فتنقلب النفس لربها راضية مرضيةً . **لاحظ أن اللوامة تهتدي بهدي العاقلة وتقول إن احتياز ممتلكات الآخرين دون حق هو سرقة لهذه الممتلكات** والسرقة عمل حرام **لا يجوز إتيانه وحتى لو كان ضرورياً لاستمرار الحياة وتذكّر صاحبها بقوله ﷺ « من ملأ فاه من الحرام لم يكفه تعبد أربعين ليلة »** وفي هذا قال أفلاطون : إن النفس هي قائد للبدن وهي المدبر لشؤونه وهي المسيِّر له والمعتني به ولكن أيكون ذلك لدى كل الناس بدرجة واحدة ؟ في الجواب نقول لا إن هناك **فروقاً فردية** بين الناس وهذا ما نادى به علم النفس وما أكده القرآن في مواضع كثيرة فأخبر عن **طالوت مثلاً** أن الله قد زاده بسطة في العلم وعن **داود** قد زاده بسطة في الصبر وعن **إبراهيم** عليه السلام الذي زاده بسطة في الحجة والإقناع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تصوير النفس في القرآن كيف ؟

وردت آيات كثيرة في القرآن تصور النفس ، كان من أهمها ومما يلائم الموضوع قوله تعالى في سورة (ق) وفي الآية (٢١) منها ﴿ **وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد** ﴾ فكيف صورها القرآن إذاً ؟ لقد صورها كما يتضح من هذه الآية **على هيئة مركبة يجرها حصانان ويسيرهما سائق** يوجه العربة وفق الهدف الذي يريد . والسؤال من هما هذان الحصانان ومن يكون السائق ؟ ومن أين استطاع المؤلف أن يعرف أنهما حصانان لا حصان واحد ؟ في الجواب نقول : الحصانان هما النفس الشهوانية والنفس الغضبية والسائق هو العقل أو النفس العاقلة وقد عرف المؤلف أنهما حصانان لا حصان واحد لأن نص الآية يشير إلى أن الشهيد قد حضر مع العربة التي هي أداة هذه الواقعة والشهادة في القرآن لا تقبل من مصدر واحد بل لا بد من شهيدين اثنين كما قال تعالى : ﴿ **واستشهدوا شهيدين** من رجالكم ﴾[1] .

والسؤال لماذا ذكر الكاتب هذه الأنفس فقط علماً بأنه قد تعرض /تحت عنوان أقسام النفس/ لستة أنواع ؟ في الإجابة نقول : رأينا ذلك لأن الأنفس الأساسية هي العاقلة والشهوانية والغضبية أما اللوامة والمطمئنة والأمارة فهي ثانوية بل هي **من تلك في مرحلة من مراحل عملها** لاحظ اللوامة مثلاً هي من الغضبية والأمارة هي الجانب السلبي من الشهوانية كما تقدم وهكذا المطمئنة وشيء من هذا التشبيه اقترب منه أفلاطون عندما شبه النفس بعربة يجرها حصانان ويقودها سائق وقال : الحصان الأول جموح غضوب حرون يكاد عبء جر العربة بكامله يقع عليه

---

[1] سورة البقرة : الآية ٢٨٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحده دون وعي منه والحصان الثاني متقاعس مكسال يمضي المشوار وهو يشم رائحة الطعام ويفتش عن اللذيذ منه دون أن يساعد كثيراً في جر العربة ، وأضاف هل تسير العربة بأمان وسلام وتوصل حمولتها بهذا الشكل ؟ في الجواب قال لا ، لا تسير على هذا النحو بل لا بد من **سائق يشد على الحصان الجموح الغضوب فيكبح جماحه ويزجر الشهواني ليحثه على مساعدة الغضوب ويمنعه من الانشغال بتأمين شهواته ، وبذلك تسير العربة باتزان وتصل هدفها بأمان وسلام.** وهنا رب سائل يسأل ألا يوجد تعاون وتنسيق بين عمل هذه الأنفس أو بين قوى النفس هذه ، وهل توجد قوى أخرى تشارك في جر العربة كاللوامة والمطمئنة في الجواب نكرر ما قلناه من **أن النفس واحدة** ولكن لها قوى مختلفة **وهناك تنسيق وتعاون وتناغم بين هذه القوى .**

ولكي نوضح هذا التنسيق نأتي لأول جريمة قتل وقعت في البشرية فما هي هذه الجريمة ؟ إنها قيام قابيل بقتل أخيه هابيل وكيف احتجت **النفس اللوامة ونصّبت نفسها محامياً عن المقتول وطالبت القاضي « وهو النفس العاقلة »** بأن يذكر الجاني بمبادئه وينزل العقوبة بحقه لأنه انتهك هذه المبادئ ولندخل الآن قاعة المحكمة ولننظر ماذا يحصل بها ؟

القاضي (من فوق قوس المحكمة) للمتهم من أنت ؟

المتهم : أنا النفس الغضبية .

القاضي (لمحامي المغدور) (النفس اللوامة) هل أن ما قاله صحيح ؟

محامي المغدور : لا يا سيادة القاضي إنه النفس الشهوانية .

الجاني : لا يا سيادة القاضي النفس الشهوانية ربما تأمر بالسوء ولكن لا لدرجة القتل أنا النفس الغضبية .

محامي المغدور : لا يا سيادة القاضي يبقى الجاني هو الجانب السلبي من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النفس الشهوانية حتى لو تغير اسمه لأن الحديث الشريف (وأذكرك يا سيادة القاضي) يقول : لا تأتوني بأحسابكم ولا تأتوني بأنسابكم بل ائتوني بأفعالكم والحديث الآخر يقول : حسب المرء خلقه ودليله عمله ، فعمله يشير إلى أنه ساير شهوته وخالف عقله **فهو من النفس الشهوانية وإن كان قد استعار سلاح الغضبية** لتنفيذ فعله ... سيادة القاضي انظر أنا من النفس الغضبية وابن عمها دليل ذلك أن عمله **أغضبني فلمته** ونصّبت من نفسي خصماً له فسميت لوّامة ، فهل أسلك الطريق الذي سلكه ؟!

القاضي رئيس المحكمة **كفى كفى إنه الجاني وهو الجانب السلبي من النفس الشهوانية وقد خالف مبادئي ... مبادئ العقل والقانون الأخلاقي وسوّغ لنفسه الغضبية هذا الفعل بافتراءات كاذبة واهية فأعارته سلاحها فاطلب يا أستاذ وكيل المغدور ماذا تريد ؟**

محامي المغدور : ألتمس من سيادة المحكمة الموقرة ما يلي :

١- تجريم المتهم بجريمة القتل العمد .

٢- إلزامه بالإقرار بالذنب والندم على الفعل .

٣- إنزال أشد العقوبات بحقه .

القاضي رئيس المحكمة : لما رأته المحكمة من عدالة طلب الأستاذ محامي المغدور وتظلم المغدور فإنها تقرر ما يلي :

١- تجريم المتهم بجناية القتل العمد عن سابق الإصرار والتصميم .

٢- اعتبار فعله بمنزلة قتل الناس جميعاً .

٣- الحكم عليه بأشد العقوبات التي ينص عليها القانون حيث إن المحكمة لم تلمس عند المتهم أي سبب مخفف للمسؤولية . وبالفعل فقد نزلت بحقه وحق أمثاله أشد العقوبات فقال الله تعالى : ﴿ **من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ﴾[1] أما باقي الطلبات فقد تحققت . أيضاً كان ذلك عندما اعترف القاتل بذنبه وأسف على فعله وتمنى أن يأتي من يدله على كيفية مواراة جثة أخيه فأرسل الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه وشاهد الجاني فعل الغراب **فاقتدى به وأصبح من النادمين** وفي ذلك قال تعالى : ﴿ فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتي **أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين** ﴾[2] عزيزي القارئ أخبرني بربك هل هناك أبلغ من هذا التصوير القرآني للنفس البشرية ؟ ... هل هناك أعدل من محكمة قاضيها العقل ودستورها القرآن ومحاميها ابن عم الجاني ولكن بعد أن تبرأ من فعله ووقف خصماً له ؟ هل هناك مملكة أشد تنظيماً من مملكة النفس بأركانها الآنفة الذكر ؟ الإجابة حتماً (وكما أعتقد) لا ليس هناك ومن المستحيل أن يكون .

من أجل هذا دعا القرآن الكريم للتأمل في النفس فقال : ﴿ وفي أنفسكم **أفلا تبصرون** ﴾[3] .

---

[1] سورة المائدة : الآية ٣٢ .

[2] سورة المائدة الآية ٣١ .

[3] سورة الذاريات : الآية ٢١ سبق ذكرها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الله كما يتراءى من خلال النفس

قال تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق **وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**﴾[1] وقال أيضاً : ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين وفي **أنفسكم أفلا تبصرون**﴾[2] فمن هاتين الآيتين ومن خلال حرف العطف وما بعده (وفي أنفسكم .....) يتضح لنا أن **الدلائل المؤكدة لوجود الله قائمة في النفس البشرية وحدها بما يعادل قيامها في الكون كله بكل آفاقه وفي الأرض كلها** بجميع أطرافها وليس أدل على وجود قوة الله في النفس البشرية من قوله تعالى في صريح خطابه ﴿ **إنني معكما أسمع وأرى** ﴾[3] وقوله أيضاً : ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** والله بما تعملون بصير ﴾[4] .

لهذا دعا القرآن الكريم للتفكير في خلق الإنسان ومن هو الخالق فقال : ﴿ **أخلقوا من غير شيء أم هم الخالقون** ﴾[5] الجواب مستحيل أن يكون خلق الإنسان من دون قوة خالقة بل هو من فعل قوة عظيمة مدبرة **مبدعة خلقته وتلك القوة هي الله** إذ لا يوجد حتى الآن في الكون كله من ادعى أنه الخالق أما الله فقد أكد أنه الخالق في مواضع كثيرة ، سواء من خلال وجود الإنسان بشكل عام أم من خلال النفس فيه كأعظم قوة تسيّر هذا الإنسان وفي مثل ذلك قال رسول الله محمد ﷺ : « **من عرف نفسه فقد عرف ربه** » ، فمن عرف نفسه كمخلوق

---

[1] سورة فصلت : الآية ٥٣ سبق ذكرها .

[2] سورة الذاريات : الآية ٢١ سبق ذكرها .

[3] سورة طه : الآية ٤٦ .

[4] سورة الحديد : الآية ٤ .

[5] سورة الطور : الآية ٣٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عرف ربه كخالق .

نخلص مما سبق إلى القول : إن الدلائل المؤيدة لوجود الله من خلال النفس أو علم النفس كثيرة وأكيدة فما هي هذه الدلائل ؟ للإجابة عن هذا السؤال سننطلق فيه من منطلقين : **مادي ومعنوي** ذلك انطلاقاً من قولنا السابق بأن للنفس جانبين جانباً مادياً وآخر معنوياً فماذا عن كل جانب ؟

أولاً : الدلائل النفسية على وجود الله من المنطلق المادي :

يرى حي بن يقظان أنه لا بد لكل حادث من محدث وبدورنا نقول : الإنسان ذلك المخلوق العجيب ذلك الحادث الجبار أيكون دون محدث .. ثم من هو هذا المحدث .. وما دلائل وجوده .. من هو الذي جعل هذا الحيوان المنوي الضعيف الذي لا يعادل طوله سوى ٦٠ جزء من ألف جزء من الملمتر ، من هو الذي جعل هذا الحيوان البطيء في حركته الصغير في حجمه **القصيرة فترة حياته** أساس الحياة ؟ من الذي أعلمه **أن الحركة اللولبية تكسبه سرعة وقوة تمكنانه من اختراق جدار البويضة** التي لا تزن سوى جزء من مليون جزء من الغرام ؟ لا شك بأن الله هو الذي جعل كل ذلك يحصل إلى أن تتكون الخلية الملقحة التي تتحول إلى علقة ثم إلى مضغة ثم إلى وليد صغير ثم إلى إنسان يافع كثيراً (ويا ويلتاه) ما نسي خلقه وخالقه ، ووقف خصماً عنيداً لله الذي أبدعه وهذا ما هو مصور في قول الله تعالى : ﴿ أو لم ير الإنسان أنّا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾[1] .

أيوجد بعد ذلك (وإلى الآن) من يقول كان خلقي صدفة !

إن كان يوجد فليعلم من يدعي ذلك أن **الصدفة تحصل مرة واحدة ودفعة واحدة ولا تكون على مراحل بشكل مخطط ومدروس كما في خلق الإنسان الذي خلق على مراحل بحيث إن كل مرحلة تنطلق مما قبلها وتمهد لما بعدها عبر**

---

[1] سورة ياسين : الآية ٧٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

توجيه إلهي محكم وفي تأكيد ذلك قال الله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ﴾[1] وهو القائل ثانياً ﴿ يخلقكم في بطون أمهاتكم **خلقاً من بعد خلق ﴾**[2] فهل وجد الإنسان صدفة ؟!

٢- البرهان الثاني في إثبات وجود الله من الوجهة المادية في خلق الإنسان نأخذه من الغدد الصم ذات الإفراز السرّي الداخلي العجيب والضروري لاستمرار الحياة بل **لقيام كل الحياة في الإنسان** وسنكتفي من هذه الغدد فقط بالغدة النخامية والتي يتراوح وزنها بين ٣٥٠٠-١١٠٠٠ ملغ وطولها ٨ مم والتي تتألف من فصين خلفي بسيط له إفرازان فقط وأمامي قائد له خمسة إفرازات وهذه الغدة ضرورية لاستمرار الحمل وعدم الإجهاض **وضرورية لتمكن الكلية من القيام بوظائفها . وكذلك لتنظيم استهلاك السكر ولها علاقة بالحياة الجنسية وكذلك هي المسؤولة عن الطول المتناسق وعن المظهر الجسدي المرتب وعن نمو الأطراف وعن الحياة النفسية المتوازنة ولها علاقة بسلامة وصحة عمل بقية الغدد كالدرقية وفوق الكلوية** والتناسلية وأنها تؤدي كل هذه الأدوار بواسطة إفرازاتها الداخلية المختلفة والمتنوعة والسؤال : غدة بهذا الحجم هل يعادلها مصنع بحجم (١٠٠) م^{٣} ؟ خلاصات كيماوية كهذه إلى كم من الآلات تحتاج .. وكم من المكان تستهلك ؟ حتماً تحتاج الكثير وتستهلك المكان الواسع وندفع الثمن الباهظ إذا ما فكرنا بإيجاد البديل وبالنهاية حتماً لا ننجح **فمن الذي أوجد هذا المصنع بهذه الطاقة بهذا الإتقان بل بهذا الحجم الذي لا يزيد عن حجم حبة الحمص ولا يستهلك سوى حيز صغير موجود في التجويف العظمي الذي يعرف بالسرج التركي.. من الذي أوجد هذه الحماية لهذا المصنع العجيب بصغر حجمه وقلة وزنه والعجيب**

---

[1] سورة غافر : الآية ٦٧ .

[2] فيها يكون إفراز الهرمون الحافز للطلق والمسبب لقذف الجنين خارج الرحم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بطاقته الإنتاجية ، أكان ذلك مجرد صدفة أيها الإنسان ؟ ولكن كما يقول تعالى: ﴿ بل عجبت ويسخرون وإذا ذكروا لا يذكرون ﴾ هذا وإن المسألة تزداد غرابة ودهشة إذا ما علمنا أن اتزان عمل هذه الغدة يضفي جمالاً في الشكل والقوام يتوسم المجتمع كل خير لهذا **ربط أفلاطون بين الخير والجمال** ورأى أنهما لا يفترقان حتى رأى أن الجمال طريق كل خير وفي ذلك قال رسول الله ﷺ : « **اطلب الحاجة من حسان الوجوه** » . إذاً كانت الغدة في هذه الحالة بشكل ما سبباً للقيام بفعل الخير وفي تعليق أفلاطون على **علاقة الخير والجمال بالخالق قال : لا يمكن أن يكون هذا بعلة افتراضية ضعيفة بل لا بد أن تكون من صنع عقل مدبر توخّى الخير ورتب كل شيء عن قصد هذا العقل المدبر هو الله الذي قال: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾**[1] .

وهنا قد نجد من يقول : ما دام الله موجوداً داخل النفس فلماذا لا تدركه الأبصار ؟ في الرد على هذا **نقول : إن البصر يدرك ما هو مادي فقط والله مجرد عن المادة وفي ذلك قال تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار** وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾[2] .

ثانياً : الدلائل النفسية على وجود الله من الوجه المعنوي :

الدلائل النفسية المؤكدة لوجود الله من الوجه المعنوي كثيرة وسنقف عند بعضها :

١- يقول رسول الله ﷺ : « يولد المولود على **الفطرة** فأبواه يهودانه أو يمجّسانه أو ينصرانه » فما الذي تقوله هذه الفطرة ؟ إنها تقول بوجود **قوة جبارة أبدعت الكون وأبدعت الإنسان** ليعمر هذا الكون ، والذي تقوله أيضاً تحب

---

[1] سورة التين : الآية ٤ .

[2] سورة الأنعام : الآية ١٠٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإطاعة لهذه القوة والإذعان لها والخضوع لأوامرها وهذه القوة قد أوجدت في نفس الإنسان مشاعر كثيرة لا يمكن الإحاطة بها ومن أولى هذه المشاعر وأهمها **الشعور العفوي التلقائي بوجود الله دليل ذلك أنه ما من إنسان** يتكلم ويريد لكلامه أن ينال الثقة والتصديق إلا ويسند كلامه لقوة خفية جبارة ، لاحظ **أن حاكم الصين** قديماً عندما أراد لحكمه النجاح ولقراراته التنفيذ سمى نفسه **ابن السماء** ولاحظ أن أي إنسان إذا أراد أن يحلف ويقسم القسم المعظم ليصدَّق فيما يقول تراه يقسم با لله ولاحظ أن المنجمين وضاربي المندل (كما يقولون) إذا أرادوا لمعلوماتهم أن تصدق وتكتسب الثقة يدعون أن **تلك المعلومات تأتيهم من قبل قوة خفية عليا والنفس البشرية التي تسمع ذلك سرعان ما تصدق بالفطرة هذه الأقاويل وحتى إنّه إذا وجد من يشك في ذلك فهو يشك بكلامهم ومدى صدقه ولا يشك في وجود هذه القوة .**

بالنهاية ليس شيء أدل على وجود ا لله في النفس البشرية من أن أي كلام مجمل أو مختصر حول هذه القوة سرعان ما يلقى تصديقاً من قبل كل من يسميه وحتى إن كان الأمر على مستوى اللاشعور .

وإليك ما حصل معي بالذات عندما كنت أقوم بتأدية الخدمة الإلزامية وكنت برفقة خبير روسي لا يؤمن بوجود ا لله وذات يوم هبت رياح عاتية كادت أن تحدث تخريباً في العمل الذي نؤدية فسألته (ولأول مرة /رغم علاقتي الإيجابية الوثيقة معه/ : من الذي أرسل هذه الرياح **فأجاب لا أعرف** واكتفيت بطرح هذا السؤال دون إفاضة حوله خشية أن يساء الفهم إلا **أنه تابع من تلقاء ذاته وقال : الله ... وأردف وبلغته : إن كان الله هو الذي أرسل هذه الرياح فأنا لا أعرف .. ربما** . وهنا تساءلت ما الذي أوجد هذا المعنى بهذا اللفظ في نفسه فأتاني الجواب بعد فترة وجيزة **إنها فطرة الله** التي فطر الناس عليها فهي التي أوجدت هذه القوة بهذا المعنى في النفس الإنسانية **وتحدت عقول البشر إن كانوا يستطيعون**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وضع تسمية أخرى لها وفي ذلك قال تعالى : ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ﴾[1] .

٢- يقال في علم النفس إن لكل مفهوم خاصتين هما : شمول وتضمن .. اسم ومعنى ، وكلمة ا لله مفهوم فما شموله وما تضمنه ؟ في الإجابة نقول **شموله هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد** أي لا يمكن أن يكون له مثيل .

إذاً شموله هو ا لله **وحده وتضمنه هي خصائص قدرته وحكمته وقوته وعظمته وإبداعه وخلقه وضمن ما يحتوي هذا المفهوم أنه المحرك الأوحد كما يقول أرسطو وضمن ما يعني أيضاً أنه العقل المدبر الذي تعقل ذاته فأوجدها ثم تعقل غيره فأوجده كما يرى الفارابي الذي قال في تعريفه لله : إنه الموجود الواجب الوجود .**

نخلص إلى القول ومن خلال ما سبق أن ا لله واحد بشموله واحد باسمه واحد بمعناه ولا نستطيع أن نضع لأي مفهوم اسماً إلا إذا كان له وجود أولاً **على ذلك كان الله أولاً موجوداً بمعناه وكان اسمه ثانياً** وهذا ما أتعب الفلاسفة وعلماء النفس الذين أجهدوا أنفسهم بالتفكير بما وراء المادة ، بما وراء المحسوسات بل القوة التي أوجدت هذه المادة وهذه المحسوسات ، با لله فاطر السموات والأرض ، فاطر الإنسان **وكلهم انتهوا إلى حقيقة تؤكد وجود** ا لله وإن اختلفت صيغة هذه الحقيقة.

٣- إن وجود النفس على هيئة وسيط بين جانبين معنوي روحي يتصل با لله وبعا لم الغيب ومادي جسدي يتصل بالناس وبعا لم الجسد .. بالدنيا ومتاعها . أقول

---

[1] سورة مريم : الآية ٦٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن وجود النفس **لتجمع بين متناقضين ومتضادين جمع تدبير وتوجيه وتسيير** بإحكام وعقل واتزان لدليل كامل على **وجود قوة عظيمة جبارة استطاعت تحقيق مثل هذا الجمع وهذا التسيير** وما يزيدنا إيماناً وتصديقاً بوجود مثل هذه القوة أنها تجعل لساننا الذي هو ليس أكثر من قطعة لحمية سريعة التلف يتكلم وتجعل الدماغ الذي هو كتلة دهنية رمادية وبيضاء (مع بعض العروق الدموية التي تتخلله) **يفكر ويحاكم** من الذي جعل كل هذه كذلك ؟ إنه الرحمن الذي خلق الإنسان وعلمه البيان[1] .

أيوجد بعد كل ذلك من يقول : كان خلق الإنسان صدفة ؟ أتصور (لا) وإن وجد فهو **يكابر** ويجادل وعلى الناس الابتعاد عنه وفي مثل هذا قال رسول الله ﷺ : « من تعلم العلم **ليماري به السفهاء أو يكابر به العلماء أو يجلب وجوه الناس إليه فليتبوأ مقعده من النار** » . أيوجد من يقول ذلك ! إني أتعجب والشاعر ابن المعتز معي يتعجب وفي تعجبه قال :

فيا عجباً كيف يعصي الإله ... أو كيف **يجحده الجاحد**

وفي كل تسكينة وتحريكة ... أبداً له شاهد

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد

---

[1] قال تعالى : ﴿ الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ﴾ سورة الرحمن : الآية من ١-٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النفس عند النوم إلى أين ؟

قال ا لله تعالى : ﴿ **وهو الذي يتوفاكم بالليل** ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليُقضى أجلٌ مسمى ﴾[1] ويقول في آية ثانية : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها** فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾[2] وقال في آية ثالثة : ﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾[3] يتضح لنا من الآيات السابقة الذكر النقاط التالية :

١- حالة النفس مع الإنسان عند النوم غير حالتها عند اليقظة .

٢- النفس عند النوم تنقلب إلى ا لله أو إلى ا لله تصير .

٣- النفس عند النوم تبقى على **صلة بالجسد رغم أنها تكون بحضرة ربها الذي** أوجدها .

٤- هناك تشابه بين وفاة النوم ووفاة الموت .

لاحظ علماء النفس (وبإمكان كل إنسان أن يلاحظ ذلك) أن الإنسان في حالة النوم ليس كما هو في حالة اليقظة وما يدل على ذلك النقاط التالية :

١- يبقى الجسد في حالة النوم حياً وذلك بفعل الروح التي تمده بالحياة إلا أن حركته تبقى **ضعيفة وغير موجهة** ودون أن تأخذ الشكل المألوف والمعتاد في حالة اليقظة أي يبقى شبحاً فيه حياة ولكن غير موجهة بكلام آخر **إن ما ينقصه السلوك الحركي الموجه** أو الواعي .

---

[1] سورة الأنعام : الآية ٦٠ .

[2] سورة الزمر : الآية ٤٢ .

[3] سورة الأنعام : الآية ٦١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢- نظرة إلى أي نائم ترينا أن حياته تكاد **تقتصر على العالم الداخلي النفسي عالم** الخيال والأحلام وهذا ما أشار إليه بعضهم عندما قال : إن النفس جوهر روحاني إن أشرق على ظاهر الجسم وباطنه معاً حصلت اليقظة ، وإن أشرق على باطنه فقط حصل النوم .

٣- **إن عمل الحواس يتعطل عند النوم** . لاحظ أن النائم لا يبصر ولا يشم ولا يلمس .. وغياب الإحساس هذا إن أشار إلى شيء فهو يشير إلى أن النفس قد استرسلت في عالم آخر غير عالم الإحساس لهذا نجد صعوبة في إيقاظ النائم خصوصاً عندما يدخل في المرحلة الثالثة[1] وحتى إنه حين يستيقظ يتصرف **كما لو أنه كان في غير هذا العالم فيتكلم بكلام بعيد عن الواقع ويتصل بعالم آخر كان يعيش فيه حين النوم** .

٤- إن الإحساس والشعور اللذين هما من أهم وظائف النفس وأعمالها بعيدان عن النائم أو غائبان عنه مما يشير إلى أن النفس عند النائم غير موجودة بكل إمكانيتها بل ببعضها أي **غير موجودة بالفعل بل بالقوة فقط ولا تتحول إلى الفعل إلا بالاستيقاظ** .

لاحظ اللسان كأداة إحساس ذوقي موجود بالقوة عند النائم ولكن دون فعل ولاحظ أيضاً أن الإدراك أو التفسير ، والفرح أو السرور ، والحزن أو الغضب كعمليات شعورية تؤديها النفس غير موجودة عند النائم بالفعل وما إن يستيقظ إلا وتبدأ عملها فكل ما سبق يشير إلى أن **النفس بالمعنى الكامل والقوة المؤثرة لم تعد بالجسد بل سافرت إلى عالم آخر ولكن بقيت متصلة بالجسد الذي ابتعدت عنه.**

٥- **إن أداء النفس ودورها من خلال النوم يتناقص وإن كان لا ينعدم .**

---

[1] للمزيد من المعلومات عن مراحل النوم راجع مجلة عالم المعرفة بعنوان النوم وأسراره وهذا ما سيكون لنا حديث عنه في الكتاب الثالث الذي هو قيد الإنجاز .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لاحظ أن الجهاز العصبي كمركز مادي للوظائف النفسية لم يعد يستقبل أي إحساس يرده من الحواس الخارجية بل أصبح يعمل فقط على مستوى اللاشعور مما يدل على أن تأثير النفس في الجسد **قد تقلص أو تناقص ويتجلى ذلك من خلال قلة حركة النائم بشكل عام وانعدام الحركة الموجهة بشكل خاص .**

٦- المعروف أن المخيلة لا تعمل إلا بمادة خام ترد إليها عن طريق الحواس لذلك نجدها طوال النهار تسرح في أمور الدنيا والواقع وأمور تخص الإحساس أما في الليل حيث تكون الحواس معطلة عن العمل **فتسرح في عالم الغيب والأحلام .**

كل **ما سبق يشير إلى أن النفس عند النوم ليست مع الجسم بذات المستوى الذي تكون عليه عند اليقظة وقبل النوم والسؤال ما دامت النفس ليست مع الجسم عند النوم فأين تكون ؟**

تكون مع الله وعند الله وإليك الأدلة على ذلك :

١- يقول تعالى : ﴿ وهو الذي **يتوفاكم بالليل** ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ﴾[١] يفهم من سياق الآية أن النفس **عند النوم تكون عند الله لتأنس بالقرب منه** ولتستريح مما كانت تعانيه أثناء وجودها في سجن الجسد ولتستلهم منه مباشرة **فتتعلم شفاء بعض** الأمراض كما ذكر ابن أبي أصيبعة في كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء[٢] ولتسترشد إلى بعض الخفايا التي ضل أصحابها أماكن وجودها[٣] ثم يبعثها خلال النهار كما أخبر في آخر الآية السابقة الذكر (ثم يبعثكم فيه) . إذاً إن الكثير من التهيؤات الإلهية تأتي بعض النائمين من عالم علوي غير حسي أثناء النوم فكيف حصل ذلك ؟ **لا شك أن ذلك قد حصل عن طريق اتصال النفس بعالم غيبي هو عالم الباري عز وجل .**

---

[١] سورة الأنعام : الآية ٦٠ سبق ذكرها .

[٢] سيرد لاحقاً ذكر قصة تعني ذلك .

[٣] سبق أن تكلمنا عن مثل ذلك في كتابنا الأول / الحاسة السادسة بين منظاري الباراسيكولوجية والقرآن/ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢- يرى ابن سينا أن المتخيلة /التي هي أحد الأولاد المدللين للنفس/ إذا ابتعدت عن الحس (كما في النوم) **اتصلت بالفضاء الكوني لتحل محل النفس فأدركت صوراً إلهية ومرئيات عجيبة وأقاويل ربانية .**

٣- يقول أفلاطون إن كل نفس تذهب إلى الكوكب الذي صدرت عنه ثم إلى خالقها حيث الوجود القدسي والاستجمام الإلهي وكلما عادت من لدنه عادت لتغرد وتشدو بأنغام الرحيل نحو البارئ المصور وفي ذلك يقول ابن سينا :

وغدت تغرد فوق ذروة شاهق والعلم يرفع كل من لم يرفع

فلأي شيء أهبطت من شاهق سام إلى قعر الحضيض الأوضع

٤- يقول **الرازي إن للنفس تعلقاً بالذات الإلهية وأن تعلقها بالبدن يمنع عنها الاتصال بهذه الذات وعند النوم حيث همود** الحارث ونومه فتصعد إلى تلك الذات حيث الكمال الإلهي ويكون هذا الصعود من خلال الجانب المعنوي من النفس .

٥- ثبت عن الصحابة أن **النفس حين وفاة النوم أو الموت تسجد بين يدي الله وتحييه حين قدومها إليه وتقول : اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام .**

٦- ليس شيء أدل على أن النفس عند النوم تكون عند ربها مما رواه عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك بأن رجلاً من الصحابة اسمه مالك قد نام في لحظة من النهار وكان يستعد لخوض معركة بالبحر فاستيقظ وهو يقول **رأيت في المنام وكأني قد استشهدت وسقاني ربي لبناً وعندما أقسم عليه القوم استقاء فإذا باللبن يخرج من فمه** ولم يكن بذاك المكان لبن ، وبالفعل حصلت المعركة في ذلكم المكان ومن ذات اليوم فاستشهد .

وهنا طبيعي أن يوجد من يسأل ويقول ما دامت النفس في أثناء النوم عند

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ربها فكيف يتحقق الاتصال بينها وبين الجسد ؟ في الجواب نقول :

تبقى النفس متصلة بالبدن اتصال الشمس بالأرض أفلا تحيا الأرض بنور الشمس ؟ نعم فكما تحيا الأرض بنور الشمس كذلك يحيا الجسد بإشعاعات النفس حياة المحبوب برؤيا حبيبه كما يقول الرازي[1] **وأن اتصال النفس بالله عند الليل لا يعني موت الجسد بل يعني بقاء بلا فناء وعزة بلا ذل وأمن بلا خوف ولا يموت الجسم إلا بزوال الروح والروح لا تفارق الجسم إلا بالموت** بدليل قوله تعالى : ﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا **وهم لا يفرطون** ﴾[2] وفي تفسير هذه الآية قال المفسرون لا يفرطون بشيء منه لا بروحه ولا بجسده والسؤال هل **النوم موت**؟ لقد شبه لقمان النوم بالموت والاستيقاظ بالبعث عندما قال لابنه وهو يوصيه « **يا بني إذا كنت في شك من الموت فامنع عن عينيك النوم . وإن كنت في شك من البعث فامنع عن عينيك اليقظة** » **إذاً هناك تشابه بين وفاة النوم ووفاة الموت ولكن وفاة الموت تكون من قبل ملك الموت الذي يسوق الميت ليريه مقامه الذي لا رجعة عنه أما وفاة النوم فتكون من قبل الله مباشرة وبقدرته المميزة والتي تضع النفس في حالة استجمام إلهي في حضرة الملكوت الأعلى** خلال الليل وتعيدها خلال النهار أو عندما يقضي الله بذلك **وبكلام آخر النوم موت مؤقت لعالم الحس والشعور ولعالم الحركة بشكل ما ، أما عالم الروح والنفس والأحلام فلا موت فيه بل هو حياة غير حياة النهار والموت يبقى انقطاعاً دائماً عن عالم الحس والحركة والحياة كلها ولا رجعة بعده أبداً** بالإضافة إلى ما سبق يجدر بنا أن نتعرض لموضوع الأحلام وكيف يتضح /من هذا الموضوع/ رحيل **النفس خلال الليل إلى خالقها وأخذها عنه مباشرة** وذلك ضمن ما جاء في

---

[1] محمد بن زكريا الرازي ، إمام المتكلمين وقامع المبتدعين ، العالم المتبحر ، فخر الإسلام ، ولد سنة ٥٤٥ هـ وتوفي ٦٠٧ ، له مؤلفات كثيرة .

[2] سورة الأنعام : الآية ٦١ سبق ذكرها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القصص القديمة أو في القصص الحديثة من العصر الحالي .

من القصص القديمة في التاريخ القديم يذكر كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء المشار إليه سابقاً أن جالينوس (أبو الطب) قد تعلم الفصد عن طريق الرؤيا الرحمانية أثناء الليل والفصد كما ثبت الآن يلعب دوراً في تنشيط الدورة الدموية وفي المساعدة على مواجهة بعض الأمراض وتحملها .

ومما يذكر أن الحارث بن أسد المحاسبي وخلف بن القاسم عن سعيد بن سلمة قال : بينما امرأة عند عائشة إذ أخذت تقول : بايعت رسول الله ﷺ على ألا أشرك بالله شيئاً ولا أزني ولا أسرق ولا أقتل ولدي ولا آتي بهتاناً افتريته من بين يدي ولا أعصي الله فوفيت لربي ووفاني ربي فوالله إن الله لا يعذبني **وبينما هي نائمة أتاها ملك في المنام فقال** لها : كلا إنك تتبرجين وزينتك تبدين وخيرك تمنعين وجارك تؤذين وزوجك تعصين ثم وضع أصابعه الخمس على وجهها وقال **خمس بخمس ولو زدت زدناك فاستيقظت وأصابع الملك على وجهها .**

هذا مما جاء في الأخبار القديمة أما ما جاء من الأخبار في التاريخ الحديث ومما ورد في كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء السابق ذكره /والذي طبع وترجم مرات عدة ، وبأكثر من لغة ويعمل به الآن كمرجع طبي موثوق به في كليات الطب من جامعات بلدنا سورية ووطننا العربي/ إن ملكاً في المغرب مرض مرضاً عضالاً يئس الطب من شفائه ويقال إنه نام يوماً متألماً من مرضه قلقاً على حياته **فشاهد في المنام من يقول له (ادّهن بلا وكل بلا)** ولم يفهم من هذه الألغاز شيئاً سوى أنه دوّنها عندما استيقظ ويوماً أتاه مفسر من الشرق فسأله عن تفسير هذه الألغاز فقال له المفسر : إن **الله يأمرك أن تدهن جسدك بالزيت وأن تأكل منه فقال له ويحك من أين حصلت على هذا التفسير ؟ فقال : يقول تعالى ﴿ من شجرة مباركة زيتونه لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ﴾[1] ألم تلاحظ يا جلالة الملك أن كلمة **(لا) قد وردت** مرتين في هذه الآية وأن الله هداك لنورها كما قال في نهاية الآية السابقة .

والقصة الثانية حدثنيها رجل يغازل عمره السبعين ما زال يعيش بين ظهرانينا اسمه **حج بكور** وهو رجل يضرب به المثل **بالصدق والاستقامة ، بالبراءة والطهر، بالتواضع والعفة** . سألته ذات يوم وقلت له ناشدتك الله إلا حدثتني بقصة احتراق ظاهر كفك (و لم أكن حينئذ أثق بهذه القصة المتداولة في البلدة) قال : اجلس يا بني وهكذا فعلت فقال لي عندما كنت طفلاً دأب أبي على إلزامي بقراءة القرآن مكرهاً عند الشيخ في المسجد لذا فكنت أدخل المسجد في حالات كثيرة وأمسك القرآن وأقرأ بلا وضوء وأحس بالندم وذات ليلة جاءني في المنام رجل يوقظني حاملاً بيده عصاً رأسها أحمر كالجمر وخاطبني مغضباً وقال : **أو تدخل المسجد ثانية بلا وضوء فأجبت بلا مبالاة « لا » فقال : إذن أحرقك بهذه وأماها على ظهر كفي** فأحسست بالحرق فصرخت بصوت عال أيقظني من عميق نومي وإذ بآثار الحرق بادية على ظهر كفي وبقيت كذلك **نحو شهرين** ومنذ ذلك الحين لم أعد أهزأ بأي شعيرة دينية أو أي حق من حقوق الله تبارك وتعالى .

والسؤال الأخير أيكون ذلك للمؤمن والكافر على السواء في الجواب نقول يكون ذلك **لكل إنسان مهما كان** دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها **والتي لم تمت في منامها** ﴾ .

---

[1] سورة النور : الآية ٣٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النفس بعد الموت إلى أين ؟

قال تعالى ﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت **والملائكة باسطو أيديهم** أخرجو أنفسكم اليوم تجوزن عذاب الهون ... لقد **جئتمونا فرادى كما خلقناكم** أول مرة [1] .

من هذه الآية يتبين أن النفس بعد الموت **ترجع إلى الله الذي خلقها أول مرة** إذ تنفصل عن الجسد وتستقبلها الملائكة لتنقلها إلى الله فكيف سيكون ذلك ؟ ... ألا تموت النفس بموت الجسد ؟ في الإجابة نقول **إنها لا تموت لأن جوهرها يختلف عن جوهر الجسد**[2] وكيف تموت وهي هبة الروح إلى الجسد ومن جوهر الخالق البارئ كما يقول أفلاطون ثم كيف تموت بموت الجسد وأنها تنتظر الانعتاق من الجسد عند موته كما يقول سقراط **نخلص للقول : إنها لا تموت بموت البدن بل تستوفي منه وتردّ إلى الله مولاها الحقيقي كما قال تعالى : ﴿ وردُّوا إلى الله مولاهم الحق ﴾**[3] **وقوله أيضاً ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك** راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾[4] وهنا ربما يفيدنا أن نذكر قول سقراط **بأن النفس جوهر روحي قائم** بذاته وأن **البدن أداة لهذا الجوهر ولا يقوم إلا به وقول** أرسطو بأنها كمال للجسم وصورة عنه وقول **الفارابي : تقوم في عالم آخر وذلك بعد موت الجسم وفنائه** / فما هو ذاك العالم وهل يكون لكل نفس ؟

---

[1] سورة الأنعام : الآية ٩٣-٩٤ .

[2] نقصد الجانب المعنوي الروحي من النفس والذي يكون السبب في إطلاق لفظ النفس في القرآن في يكون المقصود بهذا اللفظ الروح كقوله تعالى : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك ... ﴾ .

[3] سورة يونس : الآية ٣٠ .

[4] سورة الفجر : الآية ٢٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في الجواب نقول : كل النفوس مع أصحابها ترجع إلى الله « ولقد جئتمونا فرادى ... » الآية السابقة الذكر ولكن الله سبحانه وتعالى يقبل نفس المؤمن منها ويرد نفس الكافر إلى أسفل الثرى إلى سجين ولقد وردت الأحاديث الكثيرة التي تشير إلى مستقر النفس فلقد قال **سلمان الفارسي : إن روح المؤمن في برزخ تسرح. حيث شاءت وروح الكافر في سجين وقال تعالى :** ﴿ كلا إن كتاب الفجار لفي سجين ﴾[1] وفي حديث أبي هريرة أن المتوفّى تحضره الملائكة فإن كان صالحاً قالوا أخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب **أخرجي حميدة وأبشري بروح** وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال حتى تخرج **فيعرج بها حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل وإذا كان الرجل** سيئاً ، تقول الملائكة : اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث أخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق ولا يزال يقال لها حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل فيقال من هذا فيقال فلان بن فلان فيقال لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فإنه لا تفتح لها أبواب السماء فترسل إلى الأرض ثم تصير إلى القبر [2] وهو حديث صحيح .

إذاً مصير النفس إما إلى الله بالقرب منه ولتجزى ما عملت من خير وإما إلى الثرى وظلام القبر لتعذب وتتألم منتظرة يوم الحساب .

---

[1] سورة المطففين : الآية ٧ .

[2] ورد في كتاب الروح لابن القيم الجوزي .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

علاقة النفس بالجسد كيف ؟

إن أية نظرة متأنية لأي إنسان طال زمنها أم قصر كافية بأن ترينا **علاقة أكيدة ووثيقة بين نفس هذا الإنسان وبدنه ، علاقة اشتغال وتفاعل لا علاقة انطباع وتجاور ولم لا يكون ذلك ؟ وأن كل بدن يتهيأ لاستقبال نفس مكافئة وموافقة لاعتدال هذا الجسد كما يقول ابن سينا**[1] .. نظرة متأنية ترينا علاقة بينهما أشبه ما تكون بالعلاقة بين الصورة **والمرآة التي حلت بها تلك الصورة (كما يقول ابن طفيل**[2]) فإن كانت المرآة كانت الصورة وإن ذهبت وتهشمت بقيت تلك الصورة في عالم الغيب أو أصبحت هناك . نقول بذلك لثقتنا بأن النفس **هي وسيط بين الجانب المادي** لهذه الصورة **والذي شكّل مكوناتها الملموسة وبين الجانب الروحي المعنوي والذي يضمن صفاء ونقاء وطهارة هذه الصورة** ومثل هذا ما جاء على لسان **مسكويه** عندما قال : ليست النفس جسماً بل هي **وسيط بين الروح والجسم** وحول هذه العلاقة بين النفس والجسد تكلمت الدراسات والأبحاث القديمة وكذلك الدراسات والأبحاث الحديثة فما الذي قالته كل منها :

أ - علاقة النفس بالجسد وفق ما جاء في الدراسات القديمة :

إن الدراسات القديمة التي تكلمت حول هذا الموضوع كثيرة منها ما كان قبل ولادة السيد المسيح ومنها ما كان بعد ولادته وهنا وقبل أن ندخل في هذا الموضوع حري بنا أن نجيب عن سؤال بعض القراء حول الأساس الذي اعتمدناه في

---

[1] أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي ابن سينا الشيخ الرئيس درس العلوم الشرعية والعقلية وعمل بالسياسة الدر -٣٧٠-٤٢٨ هـ / -٩٨-١٠٣٧ / م .

[2] أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القبسي ولد ٥٠٠ هـ - ١١٠٦ م وتوفي ٥٨١ هـ - ١١٨٥ م درس الفلسفة والطب وعلوم الدين واشتغل بالسياسة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التمييز بين القديم والحديث فنقول : إن ما كان قبل أن عُزل علم النفس عن الفلسفة في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين يعتبر في كتابنا قديماً وما كان بعده يعتبر حديثاً فما الذي قيل عن علاقة النفس بالجسد في القديم .

١- يرى أفلاطون أن النفس موجودة قبل الجسد وأنها به بعد تشكيله ولكن ليست هي من جنسه لذلك تعود لخالقها بعد أن يموت الجسد ويرى أنها الفارس أما الجسد : فهو الفرس التي يستخدمها الفارس الذي ينشغل بأمر فرسه ويسوسه[1] .

٢- يقول بطليموس أنت من نفس وجسد ويشير هيبو قراط للعلاقة بين النفس والجسد عندما يقول بأربعة نماذج للشخصية ولكل نموذج جسدي خصائص تميزه فمثلاً :

أ - **الدموي** : معتدل القوام ويميل جسده إلى الطول وجهه أحمر وصفاته النفسية مرح ، دعابي ، حيوي ، نشيط ، إلا أنه نزق هائج .

ب - **الصفراوي** : طويل ، نحيف ، لون وجهه يميل إلى الصفرة ، وهو حسود ، حقود ، سريع الاستثارة لا ينسى الأسى بسهولة ...

ج - **السوداوي** : أيضاً طويل نحيف أسمر اللون وصفاته النفسية كئيب ، متشائم ، يائس قنوط ، حزين ، غير متفائل .

د - البلغمي : يسمى كذلك لغلبة البلغم في دمه ، وهو هادئ لدرجة البلادة والخمول إلا أنه صادق ودود وفيّ ، طيب ، دمث الخلق ، يحاكم بشكل جيد في كل الأحوال ، من خلال هذا التصنيف نجد أن هيبو قراط قد انطلق من **الوضع الجسدي في تحديد الخصائص النفسية** .

٣ - يرى ابن سينا أن النفس جوهر روحاني قائم بذاته وأنها أصل الحركة

---

[1] مع بعض التصرف من قبلنا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالبدن وتتصرف في أجزائه تصرف المالك بملكه لاحظ أنه يقول (الجسم محتاج إلى النفس تمام الاحتياج في حين أنها لا تحتاج إليه في شيء وتابع يقول لا يتعين جسم **ولا يتمدد إلا إذا اتصلت به نفس خاصة** وفي ذلك إشارة واضحة للعلاقة بين النفس والبدن حتى إنه يرى أن الجسم بلا نفس شبح من الأشباح ويرى كذلك أن النفس صورة الجسم تمكنه من الظهور بمظهره المخصوص به ومن القيام بواجباته وأعماله الخاصة على ضوء ما سبق فالإنسان ليس مزيجاً من مكونات أربعة **بل من مزيج من هذه المكونات وقد اهتدت بهدي النفس فعقلت وتدبرت وأبدعت** وعن مصير العلاقة بين النفس والبدن قال ابن سينا :

النفس ليست فانية بفناء الجسد لأنها ليست من جنسه وأنها ستغادر يوماً الجسد عندما يموت بعد أن ألفت البقاء فيه فلنستمع إليه يقول :

حتى إذا قرب المسير إلى الحمى ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع

وغدت مفارقة لكل مخلّف عنها حليف الترب غير مشيع

أخيراً ولعل أهم ما يشير للعلاقة بين النفس والجسد قول ابن سينا إن النفس هي القوة المحركة للبدن وهي القوة المدركة إذاً هي قوة فاعلة في البدن وهي قوة منفعلة فيه .

٤- يقول الطبيب أبو بكر الرازي لأحد طلابه وهو يعلمه مهنة الطب : أوهم المريض بالصحة وإن لم تكن فيه فإن **معاملة النفس قبل معاملة البدن** ويقول الشيخ محمد أمين الكردي في كتاب رياض الصالحين إن الجسد مملكة النفس ومدينتها وقد سئل حكيم بأي شيء أقيد نفسي ؟ فأجاب قيدها بالجوع والعطش والمعروف أن الطعام والشراب هما زاد الجسم ومع ذلك يستخدمان في تأديب النفس مما يشير للعلاقة بين النفس والبدن .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ب - علاقة النفس بالجسد وفق ما جاء بالدراسات والأبحاث الحديثة :

- إن الدراسات والأبحاث الجديدة التي تكلمت عن هذا الموضوع كثيرة ومتعددة وسنقف عند بعضها :

١- يقول ندرة اليازجي في مقالة له عن النفس والعقل والروح إن النفس هي من معطيات الروح للجسد وبحلولها فيه يكتسب هذا الأخير بعض خصائص الروح فيحصل الإحساس ويحصل الشعور وتحصل الحركة لاحظ أن الجسد يؤدي وظيفة الإحساس عن طريق أسلحته الخمس (بصر ، سمع ، شم ، ذوق ، لمس) ولكن نتائج تلك الإحساسات تصبح شعوراً يتصل بالجانب المعنوي من النفس فيصبح إدراكاً بعد أن يستفيد من معطيات الخبرة السابقة . إذاً باتصالٍ محدد للنفس بالجسد يحصل الإدراك الذي يميز الإنسان عن الحيوان .

٢- يرى هيغل أن النفس تبدأ فكراً خالصاً ومجرداً ثم تتحول إلى نقيضها إلى أن يصبح لها جانب جسدي وآخر نفسي وبذلك **تحصل العلاقة بين النفس والجسد .**

٣- يرى **رونيه أوبير** أن مانربيه ليس الجسد وليس النفس وإنما هو مزيج بينهما يتكون منه الإنسان . **على ذلك فالإنسان هو علاقة النفس بالجسد .**

٤- يصنف كل من شيلدون وكرتشمر الشخصية استناداً للعلاقة بين النفس والجسد فيقول **كرتشمر** بالنموذج البدين والنموذج الرياضي والنموذج النحيف ويقول شيلدون بالنموذج الحشوي والنموذج العضلي والنموذج الجلدي ويقول كل من هذين العالمين بخصائص نفسية لكل نموذج . لاحظ أنهما يقولان مثلاً : إن كلاً من البدين والحشوي ميال للدعابة والمرح وأن كلاً منهما لا يحمل غلاً ولا حقداً وأن عقلية أي منهما تركيبته وبعيدة عن التحليل وأن أياً لا يستجيب إلا للكلام العنيف والصوت العالي بل الصوت المدوي وعكس هذا الكلام قالاه للنموذج النحيف والمكون الجلدي .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥- لقد أثبتت تجارب علم النفس الفيزيولوجي **أن القشرة الدماغية من الجملة العصبية** المركزية هي المسؤولة عن العمليات النفسية والانفعالية كما وأثبتت التجارب أيضاً أن تطور العمليات النفسية يناسب زيادة تعقيد الجهاز العصبي بشكل عام والقشرة الدماغية منه بشكل خاص حتى أن بعضهم رأى بأن شدة الذكاء تناسب عمق التجاعيد والتجاويف المخية . والسؤال أليست الجملة العصبية من مكونات الجسد ؟ **إذا كانت الإجابة نعم إذاً فهناك علاقة بين النفس والجسد ذلك لأن جميع الوظائف النفسية تؤديها هذه الجملة .**

٦- أثبتت تجارب علم النفس الفيزيولوجي أيضاً أن الوضع النفسي للإنسان من قلق واكتئاب أو من فرح وانشراح **يتزامن مع وضع جسدي محدد** فقد لوحظ **أن المعتل جسدياً** يكون في الأعم الأغلب كئيباً ، قلقاً **أصفر الوجه** قليل الحركة **وأن المرح** يكون متفائلاً نشيطاً كثير الحركة مُبتسماً ويظهر ذلك على قسمات وجهه . نقول بذلك لأن الوضع النفسي الاكتئابي يؤدي لتضايق الشرايين والأوعية الدموية وبالتالي لقلة كمية الدم التي تصل الجلد والجملة العصبية المحيطية ومن ثم لاصفرار الوجه أو لاتساع الأوعية الدموية والشرايين وزيادة كمية الدم التي تصل الوجه والجملة العصبية المحيطية واحمرار الوجه وفي مثل ذلك يقول **الإمام علي بن أبي** طالب كرم ا لله وجهه **ما أضمر أحد أمراً إلا وظهر على صفحات وجهه .** ويقول كذلك من استقبل وجوه الآخرين عرف مواضع الخطأ .

أخيراً ليس أدلّ على **علاقة الوضع** النفسي بالجسدي من قول ا لله عز وجل في محكم بيانه ﴿ سيماهم في وجوههم[1] ﴾ ويقول أيضاً ﴿ **يوم تَبيضّ وجوه وتسودّ وجوه فأما** الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾[2] .

---

[1] سورة الفتح : الآية ٩ .

[2] سورة آل عمران : الآية ١٠٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال أيضاً ﴿ وأما الذين ابيضت **وجوههم ففي رحمة الله هم فيها** خالدون ﴾[1] وعند الرجوع إلى تفسير هاتين الآتيتين يظهر أن الوجه يسودّ عندما يتوقع صاحبه شدة العذاب الذي سيلقاه وأنه يبيض عندما يسر صاحبه وينشرح بما يتوقعه من رحمة الله .

٧- إن ما يؤكد العلاقة بين النفس والبدن هو أن أي انفعال يرافق بقيام الغدة فوق الكظرية بإفراز هرمون الأدرينالين الذي يحدث خللاً في سكر البدن فيولد طاقة تؤدي لزيادة القوة الجسدية فيدفع **الغاضب نحو المشاجرة وترتعد أطرافه وتزداد ضربات قلبه .**

٨- آخر دليل نأخذه مما ورد في علم الصحة النفسية تحت اسم الهستمريا التحويلية **والتي تعني أن حالة نفسية لا شعورية قد تحولت إلى عرض جسدي** فسميت كذلك لاحظ معي حالة الفتاة التي أصيبت بشلل وركها الأيمن لا لعلة جسدية بل فقط لأن وركها قد لامس (بشهوة جنسية) فخذ الدكتور الذي كان يعالج والدها وهو في حالة المرض فأسفت لما حصل وتمنت لو أن هذا الورك لم يكن حياً فحصل الشلل فيه وتحققت الرغبة اللاشعورية لتلك الفتاة . وهذا ما تبين فيما بعد عبر جلسات التحليل النفسي ، من هنا فإن علماء النفس دأبوا على الرمز لأية فعالية نفسية بالرموز التالية :

مثير	عضوية	استجابة
↓	↓	↓
م ←	ع ←	س

وفي ترجمة هذه الرموز قالوا إن أي مثير يقع على العضوية يحدث استجابة حركية مطبوعة بطابع نفسي واضح .

---

[1] سورة آل عمران : الآية ١٠٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- تساؤل وحيرة :

لعله قد تبادر لذهنك عزيزي القارئ بعد قراءة هذا العنوان سؤالان اثنان :

أ - هل النفس شيء والجسد شيء آخر ؟

ب - أيهما أسبق في الوجود النفس أم الجسد ؟

في الإجابة عن السؤال الأول نرى أن النفس والجسد **كلٌّ متفاعل فلا جسد بلا نفس ولا نفس بلا جسد** وأن العلاقة بينهما كالعلاقة بين معدن السيف وحدته فكما أنه لا يمكن الفصل بين معدن السيف وحدته أو قدرته على القطع كذلك لا يمكن الفصل بين النفس والجسد وهذا ما أشار إليه **واطس** زعيم المدرسة السلوكية [1] في علم النفس عندما قال **إن النفس هي مجموعة** من الأعضاء وقد أدت وظائفها خصوصاً ما يخص الجملة العصبية المركزية من بين هذه الأعضاء .

وفي الإجابة عن السؤال الثاني نقول :

١- يرى هيغل أن الفكر أسبق في الوجود من المادة وأن النفس وجدت أولاً بشكل مجرد ثم انقلبت إلى نقيضها ودخلت البدن **فأصبحت ذات جانبين محسوسة وغير محسوسة .**

٢- ويرى بعضهم أن النفس لطيفة ربانية وهي من الروح قبل تعلقها بالبدن وكانت معها بجوار الله عز وجل لهذا قال ندرة اليازجي إن النفس هبة الروح للبدن.

٣- قال آخرون أن النفس لم تسبق البدن و لم تلحق به و لم توجد معه إنما كانت بعد دخول الروح إلى البدن **أي كانت مع حلول الحياة في الخلية الملقحة**

---

[1] مدرسة من مدارس علم النفس قالت بوجوب معالجة المشكلات النفسية معالجة العلوم الطبيعية وتقصر ملاحظتها على السلوك فقط وتبتعد عن الخبرة الشعورية وتعتبرها ذات طبيعة شخصية نقلاً عن معجم علم النفس للدكتور فاخر عاقل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتحول هذه الخلية للإنسان لذلك قال تعالى ﴿ **فإذا سويته ونفخت فيه من روحي** فقعوا له ساجدين ﴾[1] نخلص للقول حول السؤال (أيهما أسبق) أن هناك اتجاهين :

أ - **الإنسان كجنين في بطن أمه** : فالنطفة والبويضة أولاً والاتحاد ثانياً وهنا بتمام الاتحاد وكمال الإنسجام بين النطفة والبويضة **تكون الحياة وتكون النفس بشكل ما** لهذا قال تعالى : ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة **مخلّقة وغير مخلّقة**[2] ﴾.

ب - **الإنسان كائن حيوي فعال في الحياة** : وفي ذلك نقول كانت النفس أولاً ضمن الروح التي ستعمل بهذا الإنسان ولكن عند الله عز وجل بل من روح الله ثم هبطت إلى البدن بعد أن تشكلت نواته وذلك في مرحلة من مراحل تكوينه وفي ذلك قال ابن سينا :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وقال أيضاً :

إن كان أهبطها الإله لحكمة طويت عن الفطن اللبيب الأروع

فهبوطها إن كان ضربة لازب[3] **لتكون سامعة بما لم تسمع**

---

[1] سورة الحجر : الآية ٢٩ .

[2] سورة الحج : الآية ٥ .

[3] ضربة لازب : صار أمر هبوط النفس لازماً ثابتاً شديد الوجوب - وطين لازب يلزق باليد لاشتداده وقوله تعالى (إنا خلقناكم من طين لازب) أي شديد متماسك .

المعجم المدرسي الصفحة (٩٤٢) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النفس ذلك اللغز كيف نتعامل معه ؟

في ختام الحديث عن **النفس** وبعد هذا القدر من الإفاضة حولها لعل أقوى خاطر وألح سؤال بقي في مخيلتنا هو كيف نتعامل مع هذا اللغز ؟ متى وكيف ننجح؟ هل هناك أساليب محددة للتعامل مع كل نموذج من نماذج الشخصية ؟

لعل خير ما نقوله قبل الإجابة عن هذه التساؤلات هو أننا نقصد بالنفس ذلك الإنسان وقد أدى وظائفه (كما سبق في تعريف المدرسة السلوكية للنفس) ، ذلك الإنسان الذي يعني روحاً وجسداً ثم نفساً تتوسط بين الروح والجسد وفي الإجابة عن هذه التساؤلات سننطلق من منطلقين اثنين :

أ – منطلق التعامل مع الإنسان بشكل عام لأن النفس هي الصورة التي يظهر عليها هذا الإنسان .

ب – منطلق التعامل مع النفس بعد أن تغلبت عليها قوة محددة فصيرت الإنسان حساساً أو نشيطاً أو طاعماً بديناً .

أ – التعامل مع الإنسان حيثما كان سلوك صاحبه أو نموذجه :

لا يسمّى الإنسان بل لا يكون كذلك إلا بالنفس **ومن دونها يبقى شبحاً لا روح فيه** لهذا قال الشاعر أبو الفتح البستي :

أقبل على النفس فاستكمل فضائلها **فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان**

إذاً فالنفس هي الإنسان وكيف لا وأنها تحمل من الروح وتحمل من الجسد ولننجح في التعامل معها حريّ بنا أن نتقيد بالقواعد التالية :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١- علينا أن نفهم الطبيعة النفسية للإنسان أولاً ثم نخاطبه على قدر عقله وبما يوافق هذه الطبيعة لأن **خير الناس من فهم الناس كما يقول كونفوشيوس**[١] وفهم الناس ضروري لمعرفة الطريقة المثلى في التعامل معهم **فلا نخاطبهم بما يكرهون** كما يوصي البشير محمد رسول الله (ﷺ) وفهم الناس خير فن من فنون الحياة فكيف نمارس هذا الفن ؟ علينا ألا نعامل الناس على أنهم شياطين ولا على أنهم ملائكة بل على أن فيهم من أخلاق الشياطين وفيهم من أخلاق الملائكة وهذا ما أشار إليه النبي الكريم عندما قال : « خاطبوا الناس على قدر عقولهم »[٢] هنا فإن ما يجدر ذكره أن رسول الله (ﷺ) لم يقف عند هذا الحد بل رأي (وهو النبي الذي لا ينطق عن الهوى) أن أي حديث يتكلمه المرء بما لا تدركه عقول السامعين يكون مصدر فتنة وفي مثل ذلك قال الغزالي : **كِلْ لكل بمكيال عقله وزِنْ له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك** .

٢- **الرفق** بالناس إن أردت التوجيه **واللين بالقول** ، **إن** أردت الحديث الطيب الناجح فإن الكلام اللين يلين القلوب التي هي أقسى من الصخور **ومن لانت كلمته فرضت محبته** حتى إن لين القول من التواضع والتواضع من أفضل العبادة كما قال رسول الله محمد (ﷺ) **أفضل العبادة التواضع** .

٣- على المرء أن يحكم عقله وأن يستنير بنوره لا أن يخضع عقله لا نفعالاته ودوافعه ويمشي على وهج نارها وفي مثل هذا يقول كارنيجي لا تدع دوافعك

---

[١] كونفوشيوس : هو مؤسس الفلسفة الكونفوشيوسية التي اعتبرها بعض المؤرخين مفتاح التاريخ الصيني ولد عام (٥٥١) ق.م وتوفي عن عمر ٧٢ عاماً ، خلّف وراءه خمس مجلدات سميت بكتب القانون الخمسة ويقال بأن تلاميذه ظلوا يبكون على قبره ثلاث سنوات. سعى لإقامة مدينة في الأرض منسجمة مع أسس المودة والتعاطف ويقال بأنه قد خرّج (٢٠٠٠) تلميذاً شغلوا مناصب مختلفة في العالم .

[٢] أخذ من كتاب (المرشد المجدد) للمؤلف محمد بشير الباني - المستشار في محكمة النقض في الجمهورية العربية السورية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تغلبك على أمرك ويقول آخر الغضب ريح صرصر تطفئ سراج العقل ويقول أرسطو : الغضب فتك لكل فضائل النفس .

يجب على الإنسان إذاً أن لا يكون فظاً في القول غليظاً في الفعل والسلوك لئلا يبتعد عنه الناس وفي مثل ذلك قال تعالى : ﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾[1] .

وهنا قد يقول قائل هل التعامل اللين يكون في كل المواقف ومع كل الناس ؟ في الجواب لمثل هذا **نقول نعم ذلك واجب مع كل المواقف بشكل عام فمن أفضل خصال الكريم ترك جواب اللئيم** وعلى الإنسان أن يدعو الناس ويتعامل معهم بالحكمة والموعظة الحسنة .

قال تعالى : ادعوا إلى سبيل ربك **بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**[2] .

٤- على الإنسان أن يكون عاقلاً بشكل عام ووفق ما عرفه لقمان عندما سئل عن العاقل الحكيم فقال : **الذي لا يقع بالخطأ قالوا : فإذا وقع فيه قال عرف كيف يتخلص منه** فالعاقل هو الذي لا يصادق جاهلاً ويعرف ممن يطلب حاجته فيختار مثلاً حسن الوجه جميل القوام ليحقق له مطالبه وهذا ما أشار إليه رسول الله محمد (ﷺ) عندما قال : الوجه الحسن يورث الفرح ومن أتاه الله وجهاً حسناً وخلقاً حسناً فهو من صفوة خلق الله . مثل هذا يجب أن يصادق بل أن يتخذ أسوة للمعاملة وحينئذ يحصل الإنسجام ويحل التفاهم والتعاون والوئام وهذا ما كنا قد ألمحنا إليه في موضع آخر من هذا الكتاب .

---

[1] سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

[2] سورة النحل : الآية ١٢٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ب) التعامل مع الإنسان بعد أن تغلبت إحدى قوى النفس على شخصيته:

بادئ ذي بدء لا بد من القول : تتفاعل النفس مع الجسد تفاعل العناصر الكيماوية مع بعضها وينتج من هذا التفاعل إنسان يختلف بسلوكه وصفاته عن غيره من الناس وذلك بحسب ما يحمل من الوريقات[1] الثلاث التي تشترك في تشكيل الخلية المضغة التي تكوَّن منها هذا الإنسان فقد يحمل من هذه الوريقات بنسب **متساوية** فيتكون **شخصاً متزناً وقد يحمل بنسبة أكبر من** الوريقة فيكون الإنسان نشطاً أو من الورقة الظاهرة فيكون حساساً أو من الورقة الغذائية فيكون بديناً **طاعماً فكيف نتعامل** مع كل نموذج ؟ لمعرفة الطريق الأمثل في التعامل مع كل نموذج أمامنا أحد طريقين .

أ – طريق المحاولة والخطأ وفيه نجرب عدة طرق مع أي إنسان في الحياة سواء أكان شريكاً في تجارة أم شريكاً في بحث علمي أم شريكاً في حياة زوجية **وهذا خطأ** فقد نخسر المال والوقت والجهد وقد نزهق الحياة العائلية فنرمل زوجه ونيتم أطفالاً **وهذا طريق غير صحيح كما قلنا فما هو البديل ؟**

ب – نستفيد مما أورده علم النفس بشكل عام وعلم النفس الاجتماعي بشكل خاص حول هذا الموضوع **ومما قاله كل من شيلدون وكرتشمر والدكتور إحسان حقي** وغيرهم وإن كانت الثقة العلمية في هذه الأقوال ليست بالكبيرة فما الذي قالوه ؟ الذي قالوه (وكخط وسط) أن الإنسان **غالباً ما يكون متزناً أو**

---

[1] اكتشف العالم الألماني ولف Wolf وجود ثلاث وريقات تتشكل منها الخلية المضغة وأكد وظائف كل وريقة العالم الطبيعي الروسي فون بايرو ومن بعده هوتز العالم الألماني وأكد أن كل وريقة تلعب دوراً في تشكيل جزء من الجنين وهذه الوريقات أ) الوريقة الدافئة تكون جهاز الهضم وتسمى بالورقة الغذائية – ب) الوريقة العاملة ومن تغلب عليه يكون نشيطاً –ج) الوريقة الظاهرة وهي وريقة الحسّ ومن تغلب عليه يوصف بالحساس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نشيطاً أو طاعماً وقد يكون بين نموذجين ولكن سنأتي هنا لخصائص النماذج الأساسية وإلى الطريقة المناسبة في التعامل مع كل منها تاركين البحث في النماذج المختلطة لقناعتنا الخاصة بضرورة تركها الآن .

١- الإنسان من النموذج المتزن :

رغم أن الوجودالصرف لهذا النموذج في الحياة قليل إلا أن هذا لا يمنع من ذكر خصائصه وما يناسب التعامل معه : إنه بطول متناسب مع بدانته ووزنه ، وأجزاء وجهه متناسقة ، سمنته تدعو للارتياح **صوته عادي ، كلماته هادئة لينة ، مزاجه معتدل هادئ بعيد عن الثورة الانفعالية محاكمته العقلية جيدة ، نظرته للحياة ثاقبة** ، بارع في حل المشكلات ، ذاكرته قوية أصدقاؤه كثر ، **أخذ من خصائص كل الناس بقدر معلوم يكفي للتكيف الاجتماعي الناجح ، يلائمه** الكلام المتزن والسلوك الهادئ والمحاكمة العقلية وينفر من الإنسان السطحي والمندفع إلا أنه يظهر التسامح معه . **لا يقبل أي كلام دون برهان أو دليل** ويناسبه قلة الكلام ، يندفع نحو الخير والإصلاح بين الناس ، ينجح في مهمة التفريغ الانفعالي للشخص المتوتر إذ أنه يسمع له ويحدد نقاط الضعف عنده ويأتي على علاجها **يصلح لأن يكون طبيباً نفسياً أكثر من كونه طبيباً جسدياً .**

٢- الإنسان من النموذج الطاعم : ويتصف جسمه بما يلي :

جسم متكتل تغلب عليه المادة الشحمية من بين مكوناته ، بطن كبير دافق نحو الأمام ، رأس كبير ومستدير عنق قصيرة عريضة ضخمة ، لأسفل ذقنه وفي القسم الخلفي منه طيتان أو ثلاث ، الوجه مستدير ، الخدان ممتلئان ، الكتفان عريضان ، الذراعان ممتلئان ، الكفان صغيران نسبياً ، والقدمان كذلك ، الوركان عريضان ... ومثل هذا يميل للمأكولات السكرية . يحب الدسم من الطعام ، يأكل بشراهة ونهم لأنه يتوقع أن ذلك يساعده في الحفاظ على حياته فهو حريص على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحياة ويكره ذكر الموت يحب المال ويهتم بجمعه وإن كان يتظاهر بعكس ذلك ولا ينفق **الليرة إلا إذا عرف أن ذلك سيعود عليه بليرتين ، متفائل مرح ، دعابي ، يحسن إلقاء النكتة ، حذر ، يقظ . محترس** ، لا يهتم بالعقائد الدينية وإن كان ينصت للحديث حولها في بعض الحالات فتلك حالة موقفية عارضة ، لا يؤمن بالقدر ويكره التسليم ويحب **(وذلك لا يتحقق) أن يشترك في المفاوضات يدعي العلم والمعرفة في كل شيء** (رغم أنه يمتلك منهما) ويحسب الأمور بشكل دقيق خصوصاً ما يتعلق منها . برغباته ، **يكره الأعمال الحركية والرياضية** ويحب أن يعمل ولكن من وراء الطاولة وبلسانه فقط ، يحب **القيادة والرئاسة** ولكن لا يكلف بها لضعف ثقة الناس به (وإن كان ذلك غير صحيح) إلا أنه وللانصاف نقول : **مثل هذا يصلح لأن يكون صديقاً وفيّاً ودوداً ، لا يحمل غلاً ولا حقداً** شريطة ألا تتثاقل عليه وهنا نكون قد **وصلنا للحديث عما يصلح معه من سلوك** ... يحب التجارة وينجح بها (لولا بعض الإقحامات غير اللازمة) متحدث ناجح في هذه الأحوال وإذا أردت أن تكسب جلسة ممتعة معه **فابدأها بالحديث عن التجارة والأحوال الاقتصادية** وافسح له المجال لأن يتحدث هو **وإياك أن تتحدث عن المباريات وألعاب الجري ولا تطالبه بالأعمال البدنية المجهدة وإن حدثته عن حادثة وقعت فلا تقل سببها القدر . بل تكلم له عن أسبابها وخذ منه التعليل ولا تختلف معه في ذلك وإياك ثم إياك أن تتهمه بالخمول والبلادة فهو كما قلنا محترس ، جيد يقظ وإن ذهبت معه لمأتم فلا تطل الجلوس به في ذلك المأتم** وفي الطريق نصبّه أميراً وقائداً فاستشره وأشعره بمكانته وضع في حسابك أن أحاديث المال والطعام وطرق الوصول إليهما هي التي تستقطب الانتباه . هذا وآمل من القارئ أن يضع في اعتباره أمرين .

أ – إن الوجود الصرف لهذا النموذج حالة تليلة فلا يظن أن كل من زاد وزنه قليلاً عن الوزن العادي أنه كذلك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ب - ليس من الضروري توافر كل هذه المواصفات في كل بدين بل أكثرها ستكون فيه .

٣- **الإنسان من النموذج النشيط** ويمكن تميزه من خلال الملامح الجسدية التالية :

طول معتدل ولا يشكو النشيط من قصر عن الشخص العادي ، هامة قوية وصدر عريض وقوي ، عضلات قوية ، وركان لهما عرض الكتفين غالباً ، البطن عادي وغير ظاهر اليدان والساقان طويلتان نسبياً الأصابع طويلة وعقدها بارزة وعن صفاته النفسية نقول : **يحب الحركة والنشاط والأعمال اليدوية والرياضية ويدأب على أي عمل يمارسه ، مقدام يحب المواجهة ولا يهوى البطالة ، يحب المغامرات ويهوى الدخول في السراديب والخلجان ، قوي الثقة بالنفس شديد الاعتداد بها ، ذو ذكاء عملي ونظري ويحسن أداء أعماله ويتقنها، اجتماعي طالما وجد الاحترام حريص على سمعته ، لديه عواطف كثيرة .**

وفي كل ناحية من نواحي الحياة يحب السيطرة والقيادة فلا تشعره بالتبعية ولا تتهمه بها ، **اتجاهه نحو الاعتقادات الدينية أحد أمرين ؟ قوي أو ضعيف ومؤجل . وعن السلوك المناسب في التعامل معه** فعلينا أن نكلفه بالأعمال الصعبة ونواجهه بها ولا نرجئها حتى نهاية الأعمال المطلوبة منه كما وعلينا أن نشعره بإمكانياته ونمدح صنيعه ونحترم عطاءه وإنتاجه ولا نشعره بالضعف والتردد وعدم الثقة بالنفس ونعترف بدوره الفعال والمنتج في الحياة ولا نتآمر عليه ولا ننكر خدماته كي لا ينزوي ويعيش بعزلة وعلينا **ألا نتهمه بالغرور وإن كانت ثقته بنفسه قد وصلت لما يقرب من هذه الدرجة ويجب ألا نزعجه لأنه يضرب بعاطفته عرض الحائط وينسى أية عاطفة حتى عاطفة الرحم والأمومة** فالنشيط ينساها إذا ما تألم أو أهين أو حتى إذا ما شعر بذلك فقد لا تجدي معه المثل والقيم الدينية في هذا الخصوص :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤- **الإنسان من النموذج الحساس** : ويمكن تميزه من خلال الملامح الجسدية التالية :

قامة طويلة ، جسم هزيل وجه طويل ، ومتسع من الأعلى ويضيق في الأسفل عيناه واسعتان ، فم صغير جميل ، رقبة نحيفة وطويلة ومجوفة من الأمام عضلاته غير بارزة والكتفان هابطان مع انحناء بالظهر خصوصاً إذا لم ينتبه لمشيته ، الذراعان طويلتان ورقيقتان والساقان ممتلئان وقويتان ، الورك ضيق ، البطن أجوف والكف كبير والأصابع طويلة ، والقدمان كبيرتان وطويلتان . **وعن صفاته النفسية نذكر** الحذر واليقظة وشدة التأثر حتى أنه **يستخدم جميع حواسه** ، رقيق يحب الجمال ، لا يمشي **إلا بالاستعطاف ويكره التأنيب ويثور عليه** يحب الرفاهية والاستجمام ويبتعد عن الأعمال المجهدة ، **يحب المناورة وينجح بها لذلك أغلب هؤلاء سياسيون ناجحون عقليون يحبون التحليل بل لا يعيشون من دونه وينفع في التعامل مع هذا النموذج الكلام الهادئ والمتزن والرقيق ويضر بالعلاقة معه الكلام الفظ والصوت العالي المدوي يؤخذ بالرفق والاستعطاف ويرفض العنف** ولا يفكر بما سيأتي ، يحب الموسيقا والأعمال الفنية **وينفع معه الحذر والحرص والتحفظ** ويحب ألا تطالبه بأعمال فيها إقدام ومغامرة لأن ما ينقصهم الجرأة والشجاعة بل نكلفهم بأعمال تحتاج إلى المناورة أو ذكاء السياسة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الثاني

العقـل

١ – تقديم

٢ – مفهوم العقل ما هو ؟

٣ – العقل مادياً ما هو ؟

٤ – ماهية العقل ما هي ؟

٥ – أقسام العقل .

٦ – وظائف العقل بشكل عام ما هي ؟

٧ – طاقة العقل .

٨ – الذكاء بين الوراثة والمحيط .

٩ – قياس العقل هل هو ممكن ؟ وكيف ؟

١٠ – العقل والقلب ما الفرق بينهما ؟

١١ – العقل والنفس ما الفرق بينهما ؟

١٢ – الحب ذلك الاتجاه العاطفي الرقيق أين مقره من الجسد ؟

١٣ – العقل والغريزة ما الفرق بينهما ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقـــدمة :

نظرة تأمل في **خلق الإنسان وفطرته** ، وفي خلقه وسلوكه كفيلـة بـأن ترينـا أمرين هامين متضاربين ظاهراً متفقين منسجمين باطناً هما :

الأمر الأول :

الإنسـان هـو المخلـوق الوحيـد في الكـون الـذي يتميز عـن غـيره مـن بقيـة المخلوقات **بثنائية** عجيبة تجمع بين متنافرين بالأصل هما الروح والمـادة **وازدواجيـة مذهلة** تجمع بين العقل والجسد .

الأمر الثاني :

في كل إنسان قوتان تسيّرانه : **القوة المطلقة** أو اللامحـدودة وهـي قـوة **الله** ، والقوة المحدودة واللامطلقة وهي قوة **العقل** وقد قلنا إنها محدودة لأنها تعمل بحـدود ما تورده لها الحواس ووفق تقدير الخالق .

فمن الجهة الأولى نلاحظ أن قدرة الله هي التي تسير الإنسـان بكـل مـا فيـه وهي التي تقدر عليه ، بل هي التي **تحيـط سلوكه** بكـل أشـكاله الحركيـة واللفظيـة والعقلية . فهي التي توجه كلمات اللسان وهي التي **تسيّر عمل العقل** وتجعله يدرك الصور المختلفة التي تأتيه على هيئة سـيالات عصبيـة عـن طريـق الأعصـاب الحسـية السمعية والشمية والبصرية وغيرها فتعرضها عليه ويقوم هو **بترجمتها** إلى صور جميلة جذابة تشدّ الإنسان نحوها أو صور قميئة منفرة تبعده عنها ولا يكتفي بهذه الترجمة بل يعقبها بردود فعل حركية مادية تحمي الإنسان من الأخطار وتحمـي الجنـس مـن الانقراض بناء على ذلك فالعقل هو **الوسيط الذي تساءل عنه كاميل فـلا مربـون** عندما قال : ما الوسيط الـذي يتوسـط القـوى النفسـية في ترجمـة المعطيـات الماديـة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن ولقصورٍ فينا لا نرى التنسيق **والانسجام بين عمل العقل وعمل الجسد أو من بين الروح والمادة** وعوضاً عن ذلك فقد نرى التفاوت والتضارب في بعض ما خلقه الرحمن لدرجة أننا كثيراً ما نترك الأمر دون أن نبت فيه ولو أعدنا النظر كرتين /كما قال تعالى/ لما رأينا ذلك التناقض .

وكيف نراه وقد نفاه الإله بقوله : ﴿ **ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور**﴾[1] .

ومن الجهة الثانية : نجد أن عقل الإنسان ، الذي هو وعي وفكر ، هو الذي يهدي صاحبه إذا ما عمل بمبادئه ويضله إذا ما خالفه واتبع هواه . فبه يدرك الإنسان العالم المحيط وبه يدرك عالمه الداخلي وما هو عليه من ارتياح أو امتعاض وفوق كل ذلك فبه يدرك أنه يدرك فيوازن ويقارن ويتخذ القرارات المناسبة لسلوكه وتصرفاته سواء في مجال الدين والأخلاق أو في مجال الذوق والفن والجمال أو في مجال الحياة المادية والاقتصادية .

من هنا فقد تميز الإنسان بسببه عن بقية المخلوقات وفضل على جميع الكائنات . ومن هنا أيضاً فقد جعله رسول الله ﷺ مقياس التفاضل بين الناس في الحياة الدنيا ففيما روته السيدة عائشة عن رسول الله ﷺ /**قلت يا رسول الله بم يتفاضل الناس في الدنيا ؟ قال : بالعقل ، قلت ألا يجزون بأعمالهم قال : وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله من العقل** . فبمقدار ما أعطوا منه كانت أعمالهم وبمقدار ما عملوا يجزون/ .

---

[1] سورة الملك : الآية ٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مفهوم العقل ما هو ؟

للبحث في هذا المفهوم سنتناوله من **زاويتين** :

أ) مفهوم العقل من المنطلق اللغوي .

ب) مفهوم العقل من المنطلق النفسي .

أ) مفهوم العقل من المنطلق اللغوي :

إن كلمة عقل هي اسم لآلة تقوم بفعل الإدراك والفهم في الإنسان وهي مشتقة من فعل « عقل » بمعنى أدرك الصحّ وسد أبواب الخطأ ومنع حصول الانسياب . ويقال لم أعد أفعل ذلك منذ أن **عقلت أي منذ أن قيدت سلوكي وفقاً لمبادئ عقلي** وكلنا قد سمع بقصة الأعرابي الذي دخل المسجد وترك ناقته سائبة وكيف أن رسول ا لله ﷺ طالبه بأن يعقلها فقد روى الترمذي عن أنس وقيل روى البيهقي وأبو نعيم وابن أبي الدنيا عن أنس أنه قال : قال رجل : يا رسول ا لله أوَ أطلقها وأتوكل ، قال : اعقلها وتوكل . يعني الناقة وقد رواه الطبراني عن أبي هريرة أرسل ناقتي وأتوكل ، قال اعقلها وتوكل .

ب) مفهوم العقل من المنطلق النفسي :

لقد قيل في تعريف العقل أقوال ذهبت **مذاهب شتى** سنورد بعضها ونخلص لتعريف العقل من وجهة نظرنا نحن .

١ً- قيل إن العقل هو **جمع بين الإحساس كمادة والشعور كعملية مجردة** .

٢ً- قيل إن العقل **جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله**[1] .

---

[1] أبو بكر الرازي كتاب النفس والروح .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ً- العقل هو أساس **كل تصور** وكل فعل عقلي من إدراك وانتباه وتذكر وتخيل وهو الذي **يحلل** معطيات الحواس[١] .

٤ً- العقل باللغة الإنكليزية /**Reason**/ وتعني عقل أو مسبب والعقل هنا يعني الجهة من **الإنسان التي تدبّر الأمر وتحدثه وتفسّره وتعلل سبب حصوله أو هو مجموع العمليات العقلية العليا المساعدة في الإدراك كالانتباه والتذكر والتخيل**[٢] .

٥ً- العقل **هو ملك الحياة الإرادية** وبواسطته نختار بين الأشياء .

٦ً- إنه مجموع الصور التي يتذهنها الدماغ أو هو **أفكار الدماغ** وهو المركز الذي تلتقي به جميع الإحساسات .

٧ً- ونقول نحن إن العقل هو مجموع العمليات النفسية العليا التي تتم في الدماغ وتحول الإحساس كمادة إلى شعور **كمعرفة تنعكس عند الإنسان على شكل لغة منطوقة تصبح أداة التواصل بين الناس أو سلوكاً حركياً موجهاً .**

ومن هنا قيل إنه **أفكار الدماغ** أو مجموعة الصور التي يتذهنها الدماغ .

لاحظ أن الإحساس الباطن بالجوع الذي ينعكس عن تقلصات في المعدة /حين تكون فارغة/ وعن نقص في سكر الدم ينتقل إلى الدماغ ويفسر هناك ويتخذ الأخير قراراً بتناول كأس من الشاي يطفئ وهج الجوع بشكل مؤقت فيذهب الإنسان ويطلب كأساً من الشاي .

ولاحظ أيضاً أن الإحساس الكيماوي الخارجي برائحة واخزة يولّد سيالاً عصبياً ينطلق إلى الدماغ ويحلل هناك ويفسّر ويطلق الأمر الحركي إلى الأرجل

---

[١] الكندي ، بشيء من التصرف .

[٢] فاخر عاقل : « معجم علم النفس » بشيء من التصرف .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالابتعاد عنه وإلى الأيدي بضرورة سد فتحات الشم /بشكل مؤقت/ وإلى اللسان بإطلاق كلمات التأفف تعبيراً عن الامتعاض .

فمن هذين المثالين يتضح لنا دور العقل من خلال عملياته المكوِّنة له كالتذكر والتصور والحكم في **تحويل مادة الإحساس إلى شعور ومعرفة** .

هنا نجد أنفسنا مضطرين لتعريف كل من الحكم والمحاكمة كمفهومين على علاقة وثيقة بالعقل **فالحكم العقلي** هو القول بوجود علاقة بين شيئين أو نفي هذه العلاقة .

أما المحاكمة العقلية /Reasoning/ : فهي تحكيم العقل في تفكير نظري لإيجاد مخرج من مأزق أو حل لمشكلة وذلك بدلاً من المحاولة الفعلية[1] .

---

[1] فاخر عاقل : « معجم علم النفس » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العقل مادياً ما هو ؟

العقل مادياً هو الدماغ بما يشتمل عليه من مخ ومخيخ وأعصاب دماغية وغيرها أما إن كان يوجد من يحصره بالمخ فما ذلك إلا لأن أغلب الوظائف العقلية تتركز في المخ **ورأينا** نحن أن العقل مادياً هو الدماغ ، ولكي نتقصى الصح حول ذلك سنستعرض الوظائف العقلية لكل من المخ والمخيخ والأعصاب الدماغية .

آ – **الوظائف العقلية للمخ :**

يؤدي المخ وظائف عقلية جمة بل إن أغلب الوظائف العقلية تؤدى **من قبل المخ** وهذا ما يتضح من خلال ما يلي :

١ً– يعتبر المخ بمنزلة **لوحة القيادة المركزية** « السنترال » ففيها ومن خلالها يتم الاتصال مع البيئة الخارجية عن طريق الحواس الخمس « السمع والبصر واللمس والذوق والشم » إذ تشكل هذه الحواس خمس قنوات ترد من خلالها معطيات البيئة الخارجية إلى تلك اللوحة **ومن خلال هذه اللوحة وبها يتم الاتصال مع البيئة الداخلية** وما تحتوي من جهاز تنفس وهضم ودوران وغيرها .

لاحظ أن المخ يتلقى المعلومات عن البيئة الخارجية بواسطة الحواس فيقوم بتحليلها وتصنيفها ثم إعادة تركيبها واتخاذ القرارات المناسبة تجاهها **وإيفاد تلك القرارات عبر الأعصاب المصدرة** إلى الأجهزة الحركية كي تقوم بالسلوك المناسب.

وبناء على ذلك فالمخ أشبه ما يكون **بمكتب البريد يتلقى** الرسائل الخارجية من الحواس والداخلية من الأجهزة الحشوية وغيرها التي ترد المخ على هيئة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خواطر[1] **والإنسان كمدير لهذا المكتب** هو المسؤول عن أعمال مخه وعن تشغيل عقله في تلك الرسائل لهذا قال تعالى : ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً** ﴾[2] .

وهنا قد يتساءل القارئ عن **معدن** هذه اللوحة وعن **أساس** هذا المكتب **وعن بانيه ومصممه وواضع الحياة فيه** وفي الجواب نقول له : **إنه كتلة دهنية تتخللها أوردة وشرايين وقد كانت تلك الكتلة ميتة لا تنطق ولا تبدع فأحياها الله وجعلها النور الوحيد الذي يضيء للإنسان طريق الهداية** ثم وفّر لها سبل الحماية فحصنها ضمن تجويف عظمي آمن ترقد فيه قريرة العين وسط سائل مخي شوكي كان لها كالوسادة وفي ذلك قال الإله في محكم تنزيله : ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس ﴾[3] . وفي مثل ذلك قال شوبنهور : « **كلما انحط الإنسان في القوة العقلية عمي عن نور الحق** وجمد تفكيره » .

إن ما يثبت صحة ما قلناه هو أن ثلاثة من أساتذة جامعة هارفاد وبعد تجارب لهم في المخ أثبتوا أن أي خلل يقع في المخ خصوصاً في الفص الصدغي منه يؤدي لضعف التحكم في النزوات والغرائز ، وقد ثبت من **تجارب في علم النفس الفيزيولوجي أن استئصال جهاز اللوزة من المخ يزيل سلوك العدوان عند الكلب بحيث يصبح على صداقة مع القط**[4] .

نخلص من كل ما سبق إلى القول : إن الحياة العقلية برمتها تكاد تتوقف على عمل المخ وسلامته وفي ذلك قال جالينوس منذ مرحلة ما قبل الميلاد « **إن المخ هو أساس العقل** » .

---

[1] الخواطر : هي كل ما يرد إلى المخ من الداخل على هيئة منبهات تستدعي التفكير ومصدرها ذات الإنسان أو الغيب .

[2] سورة الإسراء : الآية ٣٦ .

[3] سورة الأنعام : الآية ١٢٢ .

[4] مارك وآرفن : « المخ والعنف » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ً- يقسم أو يتألف المخ من فصوص أربعة هي الفص الجبهي والفص الصدغي والفص القفوي والفص الجداري . ولو استعرضنا نشاط الفص الجبهي وحده لوجدناه مسؤولاً عن **العمليات العقلية العليا في الإنسان كالحكم والتقدير والتصميم ورسم الخطط** وهو المسؤول عن العمليات المنطقية بل إن الجزء الخلفي منه هو المسؤول عن الحركات الإرادية في الإنسان ففيه يتم انتخاب واختيار الحركات السلوكية المناسبة للمواقف الحياتية المختلفة لهذا كان نمو هذا الفص في الإنسان أرقى وأكثر تطوراً عن غيره من المخلوقات الفقارية ، أضف إلى ذلك أن أدنى إصابة يتعرض لها تنعكس سلباً /وبحسب حجم هذه الإصابة/ على الحياة العقلية والوجدانية والاجتماعية .

٣ً- في المخ مناطق تدعى مناطق الترابط يحدث من خلالها فهم وتفسير الأحاسيس المختلفة ومن ثم ترجمتها وتقدير قيمتها وربطها مع السيالات الحسية الأخرى ومقارنتها معها سواء أكانت هذه السيالات قد وردت معها في ذات الوقت من أجل التمييز بينها أم كانت قد وردت قبلها في أوقات سابقة وقد اتفق على أن تكون هذه المناطق هي المسؤولة عن التذكر بأشكاله المختلفة ، السمعي كتمييز صوت خالد عن **صوت** خلدون عندما لا أتمكن من رؤية المتكلم ، أو البصري كالقدرة على استعادة **صورة** سعد عندما كان يمازح زميله على شاطىء البحر ويقول علماء النفس الذين عملوا في ميدان التعلم إن هذه المناطق هي ما يميز الإنسان عن غيره من بقية المخلوقات فهي المسؤولة عن تذكر أشكال الحروف الكتابية وأسمائها وما يترتب عن اجتماعها من كلمات ومعانٍ في أثناء القراءة وهي المسؤولة عن تذكر اليمين أو الشمال أثناء المشي .

٤ً- في المخ شقوق عميقة تسمى الأخاديد يترتب عليها ثنيات مختلفة تسمى التلافيف **ويقال إن الذكاء البشري يرتبط بعمق هذه الشقوق وبخصائصها الأخرى** . لذلك على الرغم من تشابه صورتها في أمخاخ الناس جميعاً فإن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خصائصها تختلف من فرد لآخر وفي الشيخوخة تميل الأخاديد للاتساع والتلافيف للانكماش والتصلب **وهذا ما يبرر تراجع القدرات العقلية للإنسان في مرحلة الشيخوخة ومع التقدم بالسن .**

٥- يتألف المخ من مادة سنجابية رمادية ومادة بيضاء فالمادة الرمادية تقترب من السطح وتكوّن ما يعرف باللحاء الذي يميز الإنسان بذكاء يختلف فيه عن بقية المخلوقات الفقارية وقد ورد في كتاب علم النفس الفيزيولوجي للدكتور أحمد عكاشة أن قشرة **المخ هي التي تحول الأحاسيس المختلفة الواردة إليها إلى صور مألوفة ومفهومة تضفي عليها العقل والفهم وتدركها وفق القيم والقواعد الاجتماعية والأخلاقية .**

ب) الوظائف العقلية للمخيخ :

يلعب المخيخ دوراً هاماً في تأدية الوظائف العقلية المختلفة . لاحظ أنه المركز الأساسي **للتنسيق بين الحركات الإرادية** بحيث تغدو /بواسطته/ متوافقة لا تضارب بينها وعلاوة على ذلك فهو المسؤول عن الإتيان **بحركات متزنة حكيمة** إذ لولا المخيخ لكانت حركاتنا طائشة غليظة فيها الكثير من التخبط والاهتزاز والهمجية **ولأهميته في تنظيم الحركات الإرادية في الإنسان فقد قيل عنه المخ الصغير** ويساعد المخيخ في عمله مجموعة من الخلايا العصبية تدعى **العقد القاعدية** والتي ترتبط بالمخيخ ارتباطاً وثيقاً .

لاحظ أن المخيخ يستقبل الكثير من الإحساسات عن طريق دهليز الأذن **فيحقق لنا الإحساس العام بأننا جالسون أو واقفون أو ثانون جذوعنا ويعلمنا بالموقف النفسي المناسب لكل حالة .**

ج) الوظائف العقلية للأعصاب الدماغية :

يساعد الدماغ في تحقيق عمله العقلي مجموعةٌ من الأعصاب الصادرة عن المخ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والتي تدعى الأعصاب الدماغية وعددها /١٢/ ولكل منها **وظيفة عقلية** محددة ترتبط بناحية من نواحي الجسد **فالعصب الأول** مثلاً يصل بين الغشاء المخاطي والسطح السفلي للمخ **وللأجزاء الموجودة بالمخ منه** أهمية في السيطرة على العواطف وإخضاعها لحكم العقل كذلك **العصب البصري الثاني** يصل بين شبكتي العينين من جهة والفص القفوي للمخ من جهة ثانية وللجزء **الأخير** منه دور في مطابقة معطيات الشبكيتين وفق قرارات العمليات النفسية في الدماغ من ذاكرة وإدراك وحكم . هذا وإن بعض هذه الأعصاب قد تقوم **بوظيفة مزدوجة** حسية وحركية كالعصب الخامس الذي يقوم بوظيفة نقل الإحساسات الجلدية من الوجه ووظيفة تحريك عضلات المضغ والبلع والعصب التاسع والذي يسمى بالعصب اللساني فهو للذوق إذ عن طريق أجزائه المتصلة بالدماغ يمكن تمييز الطعوم المختلفة أما **العصب الحادي عشر** فهو عصب حركي ومهمته تحريك الرأس والأكتاف بما يوافق مبادئ العقل وتوجيهاته . من **هنا نجد سهولة** تغير عادة هز الرأس أثناء المشي كعادة حركية **وفق معطيات جديدة للعقل** الذي وجد في هذه الحركة مخالفة لنمط المشية المتزنة .

نخلص من كل ما سبق إلى القول : إن الإنسان يعقل بدماغه وأن الدماغ هو الآلة الحية والعجيبة التي تخلق الفكر وتبدع الوجدان وفق برمجة إلهية وأن العقل يكون راجحاً بقدر ما يكون الدماغ قادراً على الإرسال والاستقبال إذ يستقبل من البيئة الخارجية عن طريق الحواس ومن البيئة الداخلية عن طريق الحس المشترك . أما عن قدرة الدماغ على الإرسال فقد ثبت أن الدماغ يرسل لآلاف الكيلومترات ويستقبل كذلك مع بقاء الحكم العقلي مهيمناً على هذه المعطيات المرسلة والمستقبلة إلى حد كبير وإليك ما يؤيد صحة ذلك :

١ً- نشرت مجلة عالم المعرفة /١٤٨/ والذي كان تحت عنوان علم الأحياء والأيديولوجيا والطبيعة البشرية ما مفاده « **إن غير العاقلين هم الذين يصرون على**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاستنتاجات الخاطئة وهؤلاء وكما دلت الأبحاث التجريبية يعانون من خلل فيزيولوجي في وظيفة المخ عندهم » .

٢ً- أشارت معطيات وأبحاث علم النفس الفيزيولوجي على أن مكان **التعلم هو الدماغ** والمسلّم به أنه لا تعلّم دون عقل يحكمه ويوجهه من هنا كان مكان العقل هو الدماغ القادر على القيام بالتذكر والاستفادة من الماضي ومن ثم التعلم وفي ذلك يقول القرآن : « **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** »[1] .

والقلب هنا جاء ليشير إلى العقل .

٣ً- ما يؤكد أن الدماغ هو مقر الفكر ما نشره الأستاذ أحمد عبد المنعم الحلواني في صحيفة منبر الشرق في الجمهورية العربية المصرية من أن **وظيفة الدماغ تعكس حياة الفكر وأن الدماغ هو عضو التعبير عن الفكر** .

٤ً- وجد في علم النفس التجريبي أن أي خلل دماغي يترافق باضطرابات فكرية سواء في **محتوى الأفكار أم في سياقها** وهذا ما يرافق المرض النفسي المعروف بالفصام ووجد أن هذا الخلل العقلي ينتج من توزع غير طبيعي للشحنات الكهربائية للخلايا العصبية في الدماغ مما يشير إلى دور هذه الآلة في العمل العقلي السليم .

٥ً- يقول **ديورنت** في كتابه مناهج الفلسفة : إن ما نسميه **بالعقل هو ما يكون بفعل عمل الجهاز العصبي المركزي أو المخ وإن الفكر هو الجهاز العصبي** المركزي وهذه حقيقة .

٦ً- إضافة لما سبق فقد أجمع العلماء على أن **الذكاء يرتبط طرداً** مع زيادة تعقيد الجهاز العصبي في الإنسان ونمو المادة السنجابية والقشرة الدماغية .

---

[1] سورة (ق) : الآية ٣٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ماهية العقل ما هي .. وكيف ؟؟

نهدف من هذا العنوان إلى معرفة ما هو العقل كتكوين ومم يتألف ، وكيف يكون . إذ كثيراً ما نسمع أن العقل هو الآلة التي تكتسب تصورات معينة وتنقل انطباعات محددة عن الموضوعات المحسوسة شرط أن يحصل بين العقل وبين هذه المحسوسات انسجام وتفاعل .

فما هو معدن هذه الآلة ؟ وكيف لهذا المعدن أن يساعد هذه الآلة في تأدية عملها بهذه الطريقة أو تلك ؟ أخيراً ما الذي قيل عنه في هذا المجال ؟

يقال إن العقل هو الدماغ .. الدماغ وقد أدى أهم وظيفة له وهي القدرة على التصور المحدود وغير المحدود . فمن قبيل التصور المحدود (بحدود الزمان والمكان والنتيجة والمستقبل) **أن يتصور عقل الطبيب البشري** زيادة عدد الكريات البيض في الجسم عقب حصول أي التهاب فيه ومن قبيل التصور غير المحدود (في الزمان والمكان والنتيجة) **أن يعجز الفكر البشري عن تصور واجب الوجود (الله) ما شكله وكيف يكون** .. هنا لا يستطيع هذا الفكر أن يتذهن شكل الإله وصورته وإن كان قد تذهّن وعَقل وجوده وأنه المتصرف بكلّ مافي الكون لأن الله (خالق هذا الفكر) أغلق طريق التصور الحق في هذا المجال فقال : ﴿ **ليس كمثله شيء** وهو السميع البصير ﴾[1] وهنا وإن كان قد صرّح عن ذاته بأنه يبصر ويسمع ولكن كيف ؟ إن هذه من المعلومات الغيبية التي احتفظ بها الإله لذاته فقال : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ﴾[2] ومنذ القديم قيل : كل ما خطر ببالك فالحق بخلاف ذلك .

---

[1] سورة الشورى : الآية ١ .

[2] سورة الجن : الآية ١٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا ومما يجدر ذكره أن العقل يؤدي مهمة أخرى غير التصور هي **التسجيل والاستعادة والتذكر عند اللزوم** وكيف لا وأن ما يدوّن ويسجل في الذاكرة إنما يكون وفقاً لعملية الاصطفاء أو الانتقاء **إذاً الاتجاه العام أن العقل هو الوظائف النفسية للدماغ** وهو الممثل بالوجه المعنوي لمادة الدماغ ، هذا الجزء من الجهاز العصبي الذي يمتاز عن باقي أجزاء الجسد بتركيز عظيم للخلايا العصبية المسؤولة عن حصول الفكر كما ويمتاز **كذلك بتنظيم دقيق لأماكن تواجدها وتوضعها فيه** بحيث يبقى على اتصال أكيد مع كل أطراف الجسد أو ليبقى الجسد كله تحت إشرافه ، والمسلم به أن مادة الدماغ من نفس مادة الجسد وأن هذا الجزء يتغذى عن طريق الدم الذي يغذي باقي أجزاء الجسد وإن كان يحتاج إلى كمية أكبر من الأكسجين المنحل فيه .

وقد استقر العلماء الذين بحثوا في هذا السبيل على أن الدماغ هو **زعيم مملكة المادة وعنه يتولد العقل فقد رأوا أن الدماغ يستقبل الإحساسات المختلفة الواردة إليه من أعضاء الحواس ومن ثم يحولها إلى صور وعن هذه الصور (وكما أجمعوا) يتولد الفكر** ولكن يوجد من يقول غير ذلك فلقد رأى ابن القيم الجوزية في كتاب الروح أن القوة العقلية ليست جسدانية ولو كانت جسدانية لضعفت زمن الشيخوخة وهذا غير أكيد ونرى أن كلام ابن القيم غير دقيق علمياً وغير صحيح وإن كانت صحة نسبية تبدو من خلاله ذلك لأن ضعف القدرات العقلية أو ثبات قوتها في الشيخوخة يبقى بيد الإله فهو القائل ﴿ ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾[1] .

من ناحية ثانية فغالباً ما نجد أن ثبات الوضع العقلي يتزامن مع ثبات الوضع الجسدي بارتباط مقبول وأن ضعف القوة الجسدية ينعكس عن ضعف في القوة

---

[1] سورة الحج : الآية ٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العقلية وأن ذلك يكون ظاهراً في بعض الحالات كما في حالة تصلب الشرايين وبعض أشكال الإصابة في جهاز كاما الليفي الذي يترافق مع انحناء في المشية وارتعاش في الأطراف وسرعة في الانفعال وضعف في السمع وتأخر في زمن الرجع /لتباطؤ القدرة على الفهم/ لكن البعض يخطئ في قياس القدرات العقلية فيقيسها من خلال القدرة على تذكر الأرقام القديمة جداً أو ما يماثل ذلك وينسى أن ذلك غير كاف .

وبالإضافة لابن القيم الذي يرى /وكما رأينا/ أن مادة العقل غير مادة الجسد نجد الدكتور جون - ج - تايلور الذي يرى في (مجلة عالم المعرفة العدد « ٩٢ » ، عقول المستقبل) أن قدرة العقل على تحريك الأشياء دون وساطة **كما في حالة التخاطر مثلاً لهو دليل على وجود قوة لا مادية للعقل مختلفة** عن مادة الدماغ وتؤثر في السلوك ولكن تايلور يعود ليناقض نفسه في ذات العدد عندما يعلل هذه القوة فيقول إنها تعود إلى **نبضات من نوع ما تشع عن الدماغ** موجهة إلى تلك الأشياء وبالإضافة إلى ذلك فإن صاحبنا جون - ج - تايلور يعود في ذات العدد ليقول : **إن الظروف الكيماوية والجسمانية للمخ تحدد وبدرجة كبيرة أفكار وأفعال صاحبه وأن العمليات الفسيولوجية والكيماوية التي تجري في المخ هي المحددات الأولى للسلوك وهنا نجده قد أقر بأن وضع الدماغ فسيولوجياً هو الذي يحدد وضع العقل الذي ينعكس عنه ولكن بثوب آخر باطنه مادي فيزيولوجي وظاهره عقلي معنوي** بدليل أنه ذكر في آخر أقواله حول هذا الموضوع (إن هذا لا يعني أن العمليات العقلية المصاحبة لنشاط المخ الكيماوي والفسيولوجي لا قيمة لها فلا شك أن لها **اعتبارها عند الشخص الذي يخبرها ويجربها** .

بالنهاية وإذا ما نظرنا لعينة من الكهلة وكبار السن نجد أن البعض قد ضعف العقل عنده وبدأ يخرّف فيدرك بشكل خاطئ ويتكلم بالأوهام وهذا ما يؤكد الجانب الجسدي في العقل والبعض الآخر تبقى قدراته العقلية سليمة رغم انحطاط

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وضعه الجسدي وهذا يؤكد وبشكل ما الجانب المعنوي غير الجسدي في العقل ومن ذلك نخلص **للقول إن العقل البشري مادي وغير مادي ، محسوس وغير محسوس، محدود وغير محدود ، واقع وصورة يزول نوره مع البعض ويبقى مع البعض الآخر ولا يزول والأمر في ذلك يعود إلى الله فهو القائل ﴿ فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين ﴾**[1] وهو القائل أيضاً ﴿ ومن يؤمن بالله **يهد قلبه** ﴾[2] .

---

[1] سورة يوسف : الآية ٦٤ .

[2] سورة التغابن : الآية ١١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أقسام العقل ما هي ؟

سبق لنا القول بأن مقر العقل هو الدماغ وأن العقل ليس إلا الوظائف النفسية للدماغ والثابت علمياً أن الأدمغة **متفاوتة** بين الناس سواء من حيث **الحجم** أم من حيث **نسبة** المادة السنجابية إلى المادة البيضاء أو من حيث **عمق** التلافيف والتجاعيد الدماغية أو من حيث **خصائص** أخرى لا مجال للخوض فيها ضمن هذا الكتاب وكل ما نريد قوله إن عقول البشر على **عدة أشكال** وقولنا هذا ينطلق مما يلي :

١- **درجة التطور** ومقدار النمو الذي بلغه العقل في تحقيق معقولاته .

٢- **خصائص الدماغ ونوعية الأعمال** التي تناسب هذه الخصائص .

١) أقسام العقل من حيث درجة التطور ومقدار النمو الذي بلغه العقل في تحقيق معقولاته :

لقد أجمعت الدراسات النفسية القديمة منها والحديثة على أن العقل البشري **يتطور وينمو مراراً بعدة مراحل** وأن خصائصه في كل مرحلة تختلف عنها في المرحلة السابقة فما الذي قيل في كل منها ؟ في الجواب : إن الذي قيل في كل منها كثير ولكن سنقطف بعضاً مما قيل في كل دراسة .

أولاً : أ – الدراسات النفسية القديمة :

لقد قسم العقل بحسب درجة نموه وارتقائه في هذه الدراسات إلى :

أ – العقل بالقوة كما يسميه أرسطو أو العقل الهيولاني كما يسميه ابن سينا ويمثل هذا النوع العقل الإنساني في طوره الأول وهو عقل يمتلك كل أشكال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاستعداد لكي ينمو ويرتقي ويتحد بأي من أشكال العقول الأخرى في سن الرشد. بعد تجاوز مرحلة الطفولة **وهو عقل منبثق عن العقل الأول عقل الإله خالق هذا الكون** ولكنه ما يزال على الفطرة التي فطره ا لله عليها في الطور الخام غير المصنّع وفي ذلك يقول الرسول الكريم محمد ﷺ : « **يولد المولود على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه** » حقاً إن مثل هذا العقل لم يكتسب أياً من المبادئ التي سيدين بها لذلك قيل إنه عقل ابن الصحراء أو عقل ساكن القوارب في البحر الذي لم يعش حياة الحضارة أو المدنية وفي ذلك قال تعالى : ﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها** ﴾[1] .

ب – **العقل بالفعل** : وهو ما قال به كل من الكندي والفارابي وابن سينا والرازي وذلك رغم تباعد أزمانهم وتفاوت مناهجهم وفلسفاتهم وهو عقل أرقى من العقل الأول **إنه عقل نشيط فعّال لا يتكون إلا في سن الرشد وبعد المرور بمرحلة المواهقة** التي تشكل خطوة بناءة في سبيل ذلك رغم أن الأمر كله متعلقاً با لله إذ **بقدرته وهدايته ينتقل من العقل بالقوة إلى العقل بالفعل حيث المعرفة اليقينية بالله عز وجل كما يقول الكندي .**

من هنا فقد قيل في علم النفس : **المواهقة سن الإيمان العفوي بالله عز وجل .**

إذاً هو عقل نشيط خلاق مبدع إذ معه وبه تتبلور الاتجاهات والقيم لذلك أسماه كل من أرسطو والإسكندر **بالعقل الفعّال .**

ج – العقل بالمرتبة الثالثة وقد سمي بأسماء مختلفة فقيل إنه **العقل القدسي كما سماه الشيخ الرئيس ابن سينا** الذي رأى أنه عقل مميز خاص لا يعطى لكل الناس وهو من أرفع وأرقى أشكال العقول وقيل إنه **العقل المستفاد من عقل الإله**

---

[1] الروم : ٣٠ .